العَوْلَمَةُ

وَأَثَرُهَا عَلى الاعْتِقَادِ

إعداد الدكتور:

علي بن عمر بن محمد السحيباني

أكاديمي سعودي، أستاذ مساعد في كلية الشريعة والدراسات

الإسلامية، في جامعة القصيم

مقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. وبعد:

يعيش عالمنا الإسلامي اليوم في ظروف مأساوية تشمل جميع مناحي الحياة السياسة والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وما ذاك إلا أن الأمة أيَّ أمة تفقد مكانتها بالتخلي عن عقيدتها ومبادئها وتصبح أمة معرضة للذل والهوان والعيش على هامش الحياة، مطمعاً للطامعين والطغاة المستبدين الذي يعيشون على أشلاء الشعوب، وأصبحت أمة الإسلام مع الأسف تجري وراء عدوها مستمسكة بحباله، لاهثة وراء السراب الخادع، تأخذ أنظمته فتطبقها، وتحمل أفكاره وتروجها، وتقلده في كل شاردة وواردة، اعتقاداً منها أن هذه هي سبيل الخلاص والنجاح فتراها تخرج من مأزق إلى مأزق أكبر منه، تتوالى عليها المصائب والنكبات في الاعتقاد والسياسة والاقتصاد، وهي لا تدري ماذا يراد بها ولها، تلهث وراء عدوها تستأنس برأيه وتحتكم إلى شرعته ومنهاجه.

وقد استحكم هذا وزاد في هذا الزمن زمن العولمة، العولمة: التي كثر التأليف فيها باللغة العربية أو اللغات الأخرى، وأصبحت هذه الكلمة مفردة شهيرة وشائعة في الأوساط الثقافية والإعلامية في السنوات القليلة الماضية، وعند التأمل في تلك الكتب وتعريفها للعولمة نجد أن كل مجموعة منها تنظر إلى هذه العولمة حسب ما تعالجه ففريق يعالجها اقتصادياً، وفريق يرى سيطرتها على العالم سياسياً، وثالث يراها ثقافياً ودينياً، وعلى كل حال فالأظهر أن العولمة نظام عالمي جديد يقوم على الثورة المعلوماتية والإبداع

التقني غير المحدود الشامل لجميع مناحي الحياة، دون اعتبار للأنظمة والحضارات والثقافات والقيم والحدود الجغرافية والسياسية القائمة في العالم[١].

وإن كان يشتد الخطب ويعظم الأمر عندما تسعى العولمة لإبعاد الناس عن هويتهم وثقافتهم وهذا ما يتضح جلياً في عصرنا الحاضر إذ إن العولمة لها أثرٌ بالغ يكمن في أنّها تؤدي إلى خلط المفاهيم، وتحريف العقائد، وإلغاء الشرائع، ولقد تركت بصماتها واضحةً على كثيرٍ من أبناء المسلمين، فأثَّرت على عقائدهم، وزعزعت قيمهم، وزهدتهم في دينهم وتشريعاته وأحكامه.

فإذا فقدت الأمة الهدف والانتماء، تحولت إلى طاقات مبعثرة، تُبدد في فراغ، وتستهلك في غير المواقع الصحيحة، وتنتهي إلى الحيرة والقلق والتمزق والعدمية، وعاشت حالةً من الضياع تُسهل على الأعداء احتلال نفسها وعقلها وروحها وأرضها.

والعقيدة في ذلك كله هي الأساس فإذا فُقدت العقيدة، فلا تطيب للأمة حياة، ولا يستقيم لها أمر، بل يجذبها التيار حيث سار؛ فهي متشددة طوراً، ومترددة مرة، ومتبددة أخرى، وقد يتشاجر الكتاب في السابق بين مؤيد ومعارض للعولمة هل هي حق أم هي باطل؟ ولكن اليوم اتضحت الصور وتبينت الأهداف فعامة الشعوب التي تهتم بثقافتها وتحافظ عليها تجزم أن العولمة ضررٌ محض، فهي تدعو إلى الهيمنة على اقتصاديات العالم، والتحكم

(١) انظر: العولمة ماهيتها ونشأتها ص٧، ١٣.

في مركز القرار السياسي وصناعته، كما تدعو إلى إلغاء النسيج الحضاري والاجتماعي والثقافي للشعوب، كل ذلك لمصالح الدول الأقوى لتزداد قوة إلى قوتها، ولتهلك الدول الأضعف وتزداد ضعفاً في جميع مناحي الحياة إلى ضعفها(١).

وهذه الأهداف وان كانت غير واضحة في بداية العولمة، إلا أنها أخذت تتضح شيئاً فشيئاً، وتمزقت تلك الأستار التي كانت تتوارى بها، فأصبح كل واعٍ مدرك يرى جلياً آثار العولمة وسلبياتها(٢).

ومما سبق يتضح أن كل مستعمر بمفهوم الاستعمار الجديد في ظل العولمة لا بد له من تحطيم مقومات المجتمع الأصلي من ثوابت ومبادئ وقيم، ثم استحداث مجتمع آخر يحمل الرؤى الحضارية نفسها لذلك المستعمر؛ وذلك لأن الهيمنة الكاملة غير ممكنة ما لم تحطم المقومات العقدية والحضارية، وتحل محلها مقومات التبعية من خلال إقامة المجتمع التابع، الناظر للغرب بأنه القدوة ومحل القرار(٣).

---

(١) انظر: مجلة آفاق عربية عدد ٣ أيار ١٩٩٧.

(٢) انظر: العولمة بين منظورين مجله البيان العدد ١٤٥، والعولمة الغربية والصحوة الإسلامية ص ١١٥، والعولمة الاقتصادية ص ٩٨، ولمزيد بيان في تعريف العولمة ومجالاتها انظر: صراع الأمم بين العولمة والديمقراطية ص٢٨، ٥١، ومخاطر العولمة على الهوية الثقافيةص١٠، ١٣، وما العولمة؟ ص٤٦، والعولمة والثقافة العربية ص١١٦، والحضور والمثاقفة ص١١١-١١٤.

(٣) انظر: العولمة الاقتصادية ص ٩٧، وانظر لمزيد بيان: العولمة الغربية والصحوة الإسلامية ص٧١، والعولمة أم عالمية الشريعة الإسلامية ص٥٥.

وبما لا ريب فيه أن المخرج من هذه التبعية التي تكرسها العولمة يوماً بعد يوم هو الإسلام، فالإسلام هو البديل للحضارة الغربية وهو الدين العالمي الصالح لكل زمان وكل مكان.

فلا بد من الوعي بالهوية الإسلامية، وتحصين العقل المسلم من الاختراق الثقافي والاستلاب الفكري في مجال القيم والمبادئ، والأصول الثابتة التي لا غنى عنها في مواجهة خطط تذويب الذات، وتدمير البنية التحتية العقائدية والفكرية التي تحفظ للأمة تحصينها واستقلالها.

والمطلع على خطط الدول سواء الأمنية أو التنموية يلحظ أن مسألة الهوية –عقيدةً وثقافة– تحظى بعناية خاصة؛ لأنها خط الدفاع الأول عن ذاكرة الأمة ودينها ولغتها وتاريخها وقيمها الحضارية.

ولا يعني قولي هذا إلغاء جميع الحضارات وعدم الالتفات إليها في جميع المجالات، بل لا بد من الانفتاح على الحضارات الأخرى في مجال نقل التقنية وعلوم الوسائل؛ حرصاً على امتلاك القوة في المجالات الاقتصادية والإعلامية والعسكرية، فنستفيد مما عند الغرب من تقدم مادي وعلمي، وفي الوقت ذاته نحذر من الذوبان في شخصية الغرب وهويته ونتفاعل مع قيمنا وهويتنا الإسلامية، علماً أن الغرب حريص على فرض قيمه الاجتماعية والثقافية وعولمتها، والتي تمثل أسوأ ما عنده، بينما لا يسعى إلى عولمة العلم والتقدم حيث يجب عنده الاحتفاظ به.

إن أمة الإسلام اليوم بحاجة إلى جهود جبارة لتعريف العالم بعالمية دين الإسلام ونشر عقيدته ودينه أو بالأحرى إقناع العالم بصوابيتها، وأنه دينٌ

عالمي يقدم أسمى الحضارات وأنفعها للبشرية في حاضرها ومستقبلها، وأن فيه الغنية مما يجلبه هذا العالم اليوم من عولمة الغرب التي هي في حقيقتها عولمة التصفية الجسدية والاستعباد، والاستعمار الاقتصادي، والاستتباع الحضاري، وأخيراً التصفية العقدية والروحية.

وبالجملة فالعولمة تفرض تحديات كبرى على أمة الإسلام تعددت مشاربها، لكن أخطرها تلك العولمة التي تمس الاعتقاد فتبعد المرء عن مصافي مشارب اعتقاده، أو تشككه فيه، أو تجعل له أطروحات أخرى تهون من شأن تلك العقيدة، فالعولمة لها أثر في أفكارنا وتصرفاتنا المخالفة للعقيدة الصحيحة، سواء منا من شعر بذلك أو من لم يشعر.

ولذا كان لزاماً علينا أن نبين ذلك الأثر إيجاباً وسلباً حتى تبقى أمتنا صامدة في ظل هذه التحديات متبوعة غير تابعة، مؤثرة غير متأثرة.

ونظراً لتشعب هذا الموضوع أرى أن يكون طرقه من عدة جوانب لها الأثر البالغ على الاعتقاد أهمها:

- أثر العولمة في تجديد الخطاب الديني.
- أثرها في الدعوة لحرية الأديان والتعايش بين الشعوب.
- أثرها في التقليد والتشبه بالكفار.

وذلك حسب الخطة التالية:

- **المقدمة**: وضمنتها تعريفا موجزا بالعولمة، مع الإشارة إلى أهمية العقيدة ومنـزلتها.

- **المبحث الأول: أثر العولمة في تجديد الخطاب الديني.** ويشمل عدة مطالب:

- **المطلب الأول:** معنى التجديد.
- **المطلب الثاني:** بدايات الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني وأطواره.
- **المطلب الثالث:** وسائل تجديد الخطاب الديني في طور العولمة.
- **المطلب الرابع:** أهم أسباب ظهور أفكار تجديد الخطاب الديني.
- **المطلب الخامس:** المعالم الرئيسة لفكر تجديد الخطاب الديني.
- **المطلب السادس:** دوافع وأهداف تجديد الخطاب الديني.
- **المطلب السابع:** نقد فكر تجديد الخطاب الديني، وأهم آثاره الخطرة على أمة الإسلام.

- **المبحث الثاني: أثر العولمة في الدعوة للتعايش وحرية الأديان.** ويشمل عدة مطالب:

- **المطلب الأول:** مفهوم التعايش والدعوة لحرية الأديان.
- **المطلب الثاني:** أنواع الدعوة للتعايش وحرية الأديان.
- **المطلب الثالث:** مصداقية الدعوة للتعايش وحرية الأديان.
- **المطلب الرابع:** المعالم الرئيسة لدعوة التعايش وحرية الأديان.
- **المطلب الخامس:** نقد دعوة التعايش وحرية الأديان.

- **المبحث الثالث: أثر العولمة في التقليد (التشبه).** ويشمل المطالب التالية:

- **المطلب الأول**: آثار التقليد في عصر العولمة.

- **المطلب الثاني**: أهم الوسائل والسبل المعينة على مواجهة هذه العولمة.

- **الخاتمة**: وفيها أهم نتائج البحث.

- **الفهارس**.

موضحاً في هذه المباحث ما يوجب الحذر من هذه العولمة وآثارها السيئة، التي لا يقف في وجهها إلا سد منيع بني على أساس قوي من العقيدة الصحيحة.

مع التنبيه على أنه لا يمنعنا هذا الحذر من الاستفادة منها، في العلوم والتقنية، وهذه الاستفادة تكون عوناً لنا في توعية العالم أجمع بحقيقة العقيدة الإسلامية، وعالميتها وشمولها، وأنها تختلف عن كل الحضارات الأخرى شكلاً وجوهراً ومقصداً.

وبعد إيراد خطة البحث، وهذا البيان المقتضب في هذه المقدمة عن تعريف العولمة وبيان خطرها، والعقيدة وبيان منـزلتها، وأنها هي الدرع الواقي بإذن الله مما تبثه العولمة من شرور في كافة مناحي الحياة عامة وعلى الاعتقاد خاصة، مع ما بلي به المسلمون اليوم من ضعف وعدم فهم لبعض أصول الاعتقاد، أرى أن الحاجة لمثل هذا البحث قائمة.

هذا وأنهي هذه المقدمة بشكر الله سبحانه وتعالى أن يسر لي هذا البحث ووفقني لإتمامه، وأحمده سبحانه وأشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى وأسأله التوفيق في الآخرة والأولى، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه الدكتور/ علي بن عمر السحيباني

ali@suhaibani.net

المبحث الأول:

أثر العولمة في تجديد الخطاب الديني:

أصبح مصطلح التجديد في الخطاب الديني مصطلحاً ذا التباس ومثار هرج وتصنيف، إذ يتم تداوله بكثافة هذه الأيام من قبل تيارات كبرى ومناهج عدة، منها مريد للحق ومنها خلاف ذلك، وآخرون يلقون هذا المصطلح ولا يعلمون ما يراد به، وأحياناً يتحدثون عن أساليب الدعوة والتجديد فيها ويعتبرون هذا من تجديد الخطاب الديني، وآخرون يرون أن النظر في المسائل والنوازل الفقهية المعاصرة هو التجديد، وقسم ثالث يرى أن مخالفة المُفتَى فيه وبحث بعض القضايا وتغيير ما كان معروفاً منذ زمن هو التجديد.... وهكذا.

والسبب في ذلك عدم وضوح مفهوم هذا المصطلح، وما يراد به، وكثرة مستعمليه ليغذي كل مشربه ومراده.

ولعلي في هذا المبحث أجلي وجه الالتباس في هذا المصطلح ببيان تعريفه والمراد به، وأقسام الناس في طرقهم له، وبيان أثر العولمة في تجديد الخطاب الديني.

المطلب الأول : معنى التجديد:

الجَدِيد في اللغة: مصدره الجِدَّةُ وهو: نَقِيض البِلى والخَلِق يقال: شيءٌ جديد والجمع أَجِدَّةٌ وجُدُدٌ وجُدَد، وجَدَّ الثوبُ والشيءُ يجِدُّ بالكسر صار جديداً.

وتجدَّد الشيءُ صار جديداً وأَجَدَّه وجَدَّده واسْتَجَدَّه أَي صَيَّرَهُ جديداً، ويقال: رَكِبَ فلانٌ جُدَّةً من الأَمر: أَي طريقةً ورأياً رآه، والجُدَّةُ : الطريقةُ في السماء والجبل، قال تعالى:﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر:٢٧ [1]].

فالتجديد بهذا ينصرف إلى معنيين:

- الابتكار وطرح آراء وطرق جديدة، وهذا قد يكون موجوداً في معنى التجديد المعاصر اليوم.

- رد القديم وإعادته إلى الجدة، وهو بهذا يعني محاولة بعث القديم وتحسينه، وهذا التحسين قد يخرج القديم بثوب حسن يعجب الناظرين، أو يكون تجديداً في غير محله وبقائه على قدمه أجمل من العبث فيه، هذا معنى التجديد في اللغة.

أما تجديد الدين فهو يعنى: المحافظة عليه دون تغيير أو تبديل.

والتجديد فيه يكون بإحياء ما أندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما[2].

فالدعوة إلى التجديد هي الدعوة إلى العودة للمنابع والأصول، عودة كاملة صافية، عودة تدعو إلى الثبات على الحق، وترك التقليد الفاسد الذي على غير بصيرة.

---

(١) انظر: تهذيب اللغة ١٠/ ٢٥٠. والصحاح للجوهري ٣/ ١٦، ولسان العرب ٣/ ١٠٧.

(٢) انظر: فتح الباري ١٣/ ٢٩٥، وعون المعبود ١١/ ٢٦٠.

ولعل مما يوضح معنى هذا التجديد ويجليه قوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَّ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**»[1].

والناظر في عبارات أهل العلم في معنى التجديد الوارد في الحديث، يجد أنها تتركز على أن المراد بتجديد الدين: إعادة الدين على ما كان عليه في زمنه ﷺ، وأصحابه.

قال ابن الأثير: «ولا يلزم منه أن يكون المبعوث على رأس المائة رجلاً واحداً، وإنما قد يكون واحداً، وقد يكون أكثر منه، فإن لفظة «من» تقع على الواحد والجمع»[2].

وقد عد العلماء قريباً من حديث التجديد في المعنى قوله ﷺ: «لَا تَزَال طَائِفَة مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقّ لَا يَضُرّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِي أَمْر اللهَّ وَهُمْ كَذَلِكَ »[3].

وقد تنوعت عبارات أهل العلم في بيان هذين الحديثين كان من أجمعها ما ذكره الإمام النووي رحمه الله أن أولئك المجددين أو الطائفة الظاهرين

---

(١) أخرجه أبو داوود في السنن ٤/ ١٧٨، وأبو عمرو الداني في الفتن١/ ٤٥، والطبراني في المعجم الكبير ١٩/ ٤٦٧، والأوسط ٦/ ٣٢٣، والحاكم ٤/ ٥٢٢، والبيهقي في معرفة السنن والآثار ١/ ١٢١، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ٩٧، والخطيب في تاريخه٢/ ٦١، قال عنه الشيخ الألباني: صحيح انظر:سنن أبي داود ٢/ ٥١٢.

(٢) جامع الأصول ١١/ ٣٢٠.

(٣) هذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه٦/ ٥٢، رقم (٥٠٥٩) عن ثوبانﷺ بهذا اللفظ، وأخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٢٦٦٧، رقم (٦٨٨١)، عن المغيرة بن شعبة ﷺ بلفظ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون».

على الحق: «مُفَرَّقَة بَيْن أَنْوَاع الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ شُجْعَان مُقَاتِلُونَ، وَمِنْهُمْ فُقَهَاء، وَمِنْهُمْ مُحَدِّثُونَ، وَمِنْهُمْ زُهَّاد وَآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَاهُونَ عَنْ الْمُنْكَر، وَمِنْهُمْ أَهْل أَنْوَاع أُخْرَى مِنْ الْخَيْر، وَلَا يَلْزَم أَنْ يَكُونُوا مُجْتَمَعِينَ بَلْ قَدْ يَكُونُونَ مُتَفَرِّقِينَ فِي أَقْطَار الْأَرْض.

وَفِي هَذَا الْحَدِيث مُعْجِزَة ظَاهِرَة؛ فَإِنَّ هَذَا الْوَصْف مَا زَالَ بِحَمْدِ اللَّه تَعَالَى مِنْ زَمَن النَّبِيّ ﷺ إِلَى الْآن ، وَلَا يَزَال حَتَّى يَأْتِي أَمْر اللَّه الْمَذْكُور فِي الْحَدِيث»[1].

قال الإمام ابن حجر بعد نقله لكلام الإمام النووي السابق: «وَنَظِير مَا نَبَّهَ عَلَيْهِ مَا حَمَلَ عَلَيْهِ بَعْض الْأَئِمَّة حَدِيث «إِنَّ اللَّه يَبْعَث لِهَذِهِ الْأُمَّة عَلَى رَأْس كُلّ مِائَة سَنَة مَنْ يُجَدِّد لَهَا دِينهَا» أَنَّهُ لَا يَلْزَم أَنْ يَكُون فِي رَأْس كُلّ مِائَة سَنَة وَاحِد فَقَطْ بَلْ يَكُون الْأَمْر فِيهِ كَمَا ذَكَرَ فِي الطَّائِفَة وَهُوَ مُتَّجِه، فَإِنَّ اِجْتِمَاع الصِّفَات الْمُحْتَاج إِلَى تَجْدِيدهَا لَا يَنْحَصِر فِي نَوْع مِنْ أَنْوَاع الْخَيْر، وَلَا يَلْزَم أَنَّ جَمِيع خِصَال الْخَيْر كُلّهَا فِي شَخْص وَاحِد»[2].

ويتضح من هذا أن التجديد بهذا المفهوم عملية إصلاحية الحاجة إليها قائمة، مع التأكيد على مفهوم التجديد، وهو نقل الدين من قرن إلى قرن ومن جيل إلى جيل، وهو محاط بالحفظ والصيانة لا يزاد فيه ولا ينقص، ينفي تحريف الغالين المبطلين، وغلو المتنطعين، وتفلت الفاسقين، ويعود

---

(١) شرح النووي على مسلم ٦/ ٤٠٠.

(٢) فتح الباري ٢٠/ ٣٧٠.

الناس إليه بالقبول والتلقي، والانقياد والتسليم، والتصديق والاتباع، والتوقير والتقديم، والفهم والالتزام والتطبيق[١].

ولاشك أن الحاجة ماسة لهذا التجديد لما فَشَى من جهلٍ بأمور الدين واللغة التي نزل بها، فالناس بحاجة إلى من يذكرهم أمر دينهم لا سيما في هذا الزمن الذي استحكمت فيه غربة الدين.

مع ما يضاف إلى ذلك من النوازل والمستجدات في هذا العصر والتي يحتاج الناس فيها إلى من يربطها بأصولها الأولى، فهي وإن كانت نازلة ومستجدة من ناحية الصورة لكن مضمونها واضح بين في كتب الأوائل، فيحتاج الناس إلى من يربطها ويوضحها لهم، خاصة في هذه الثورة المعلوماتية والعولمة العالمية مما يحتاج الناس إلى معرفة ما يأتون ويذرون منها سواء في المعاملة مع الكفار خاصة، أم النظرة الصحيحة تجاه تلك العولمة عامة، ويزداد الأمر أهمية وتعلو حاجته عندما يرى الناس هذه التحزبات والجماعات والفرق، فلا يدري المرء ما يأتي منها وما يذر، ولهذه الأسباب وغيرها الكثير، يوقن كل عاقل يرى الأمة وواقعها أن الحاجة إلى التجديد الشرعي الذي يعيد الأمة إلى أصولها وحسن فهمها لتلك الأصول أمر ضروري.

---

(١) انظر: تجديد الخطاب الديني ص١١-١٣، وقضايا العولمة والمعلوماتية ص١٧، وانظر في أهم الشروط التي يجب توفرها في المجدد: تجديد الخطاب الديني بين ثوابت العقيدة ومتغيرات العصر ص١٢٣٨.

وبما أن التجديد مضاف إلى الدين مرتبط فيه، فلا بد أن يكون ذلك المجدد - فرداً أو جماعة- على قدر كبير من الدين والفقه فيه والتمسك به، عالماً بواقع الأمة وما يؤثر فيها، عاملاً على إحيائه ونشره ونصره، ورد كل مخالف له ومحوه وكسره.

وعلى هذا فلا يصح أن يدعي التجديد من هو أبعد ما يكون عن العلم والدين، أو المتعالمين وأنصاف المثقفين، أو من ثقافته غير متخصصة.

والناظر اليوم في ساحة أهل الإسلام يرى العجب من تصدي أناس للكتابة في الدين عموماً أو أمر العقيدة خصوصاً، وهم أبعد ما يكونون عن فقه الكتاب والسنة.

ومما سبق يتضح أن لفظ التجديد ومضمونه لفظ عربي معروف في لغة العرب، وارد في الكتاب والسنة.

لكن من يستعمله اليوم - مع الأسف - وينادي به أخرجه عن هذا المعنى وهذا المضمون، وبهذا صار الناس حيال معنى التجديد قسمين:

القسم الأول: من سبقت الإشارة إليه وهم من ينادي بالتجديد على الوجه اللائق بمعناه ومضمونه.

القسم الثاني: أولئك الذين ينادون بالتجديد على أنه التغيير والتبديل، أو التطوير لمحتوى الخطاب الديني ومضمونه.

وهذا التجديد بزعمهم لأجل مواكبة العصر ومعطياته، المستمدة من الثقافة الغربية المعاصرة، والتي هي ركام من نتاج فكري بشري محض، مع ما يضاف إلى ذلك من أهواء ودوافع نفسية داخلية أو خارجية.

فالسبب الرئيس هو السعي واللهث وراء حضارة الغرب وثقافتهم، وتقدمهم الذي ظن الظانون من المجددين أن السبب فيه هو انفصال الغرب عن دينهم، وأن هذا التقدم التقني الهائل الذي فاق التخيلات إنما هو بسبب حصر الدين في دائرة ضيقة هي دائرة الوجدان والعاطفة.

و المجددون اليوم ترنو أبصارهم لمثل هذا؛ ويرون أن لا تقدم لميلاد الإسلام حتى يُتعامل مع الإسلام بمثل ما تعامل الغرب مع النصرانية، فهم يريدون تكرار التجربة ومتابعة مثقفي الغرب.

وصدق المصطفى ﷺ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ...**»[1].

فالمثقفون اليوم في حقيقتهم إنما هم مقلدون، ناقلون ما كتبه الغرب من لغته إلى لغتنا[2].

ناهيك عمَّن ينقل مالا يدرك وهم كثر، مع ما يلحق ذلك من التخبيط في أحكام الشرع والنقد لها وللعاملين بها، أو النظر إلى طرف الحافة لتصيد الهفوات والزلات.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٢٦٦٩، رقم (٦٨٨٩)، ومسلم ٤/ ٢٠٥٤، رقم (٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) انظر: التجديد في الخطاب الديني ص١١-٤١، وتجديد الخطاب الديني في ظل التقنيات الحديثة ص٤٧، والعنف والخطاب الديني في مصر ص٦٣.

وكل منصف وباحث للحق يدرك أن التجربة غير قابلة للتكرار فديننا حق غير محرف من عند الله سبحانه، آمرٌ بالحق والعدل، وحاث على العلم والمعرفة، رافع قدر العلم والعلماء، أما غيره من الديانات فهي باطلة محرفة، أو أهواء رجالٍ وآراء زنادقة. ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: ٨٢].

فجاء تجديد أولئك تبعاً لسابقيهم طالبين بشدة تجديد الدين المتمثل بالإلغاء أو التغيير أو الشك في بعض الأحكام الشرعية، لا سيما تلك التي ينتقدها الغرب، أو أن التخلي عنها يجعلنا أكثر تلاؤماً معهم، ظناً من أولئك المجددين أن أحكام الشريعة كلها أو بعضها هي سبب تخلف المسلمين.

المطلب الثاني : بدايات الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني وأطواره:

أما عن بدايات الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني، فإن أردنا بتجديد الخطاب المعنى المأمور به من حفظ الدين والدعوة إليه، فهذا منذ بدايات القرن الثاني من تاريخ الإسلام .

وإن أريد المعنى الآخر: وهو تحريف الدين وتبديله وإطفاء نوره، فهذا ذو شقين المعنى العام وبدايته منذ وجود البشرية ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا**﴾ [الفرقان: ٣١]، والمجرمون اليوم ليسوا بأحسن حالاً من مجرمي الأمس وإن تغيرت الصور والأشكال والدعوات والألفاظ إلا أن المضامين واحدة.

لكن السمة الغالبة على مجرمي اليوم السعي الجاد لمحاربة الإسلام عقيدة وشريعة أكثر منه جسداً وقتالاً، فالسعي الدؤوب منهم على قلب المسلم

وعقله وفكره حتى يصبح الإسلام غريباً بين أهله، وساعد على بث هذا العمل ما انتشر من وسائل الإعلام التي يقود زمامها العولمة الساعية لجعل المسلمين بلا عقيدة ولا هوية.

وهذا هو المعنى الخاص وهو معناه المعاصر والذي يتأرخ من بدايات التطوير، التي انطلقت في أوائل القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر ميلادي)، حيث بدأ الاحتكاك المباشر بالحضارة الغربية والتأثر بها، صاحب ذلك ما تعيشه الشعوب الإسلامية من تخلف رهيب، مما حدا برجالات ذلك الزمن إلى الرغبة الجامحة في اللحاق بالغرب في علومهم الدنيوية، ومعارفهم الإنسانية.

كانت أهم نتائج ذلك الانبهار، الهزيمة النفسية التي دعت المتلقي لها أن يسعى جاهداً إلى التوفيق بين تلك الحضارة وشريعة الإسلام، حتى وإن اقتضى الأمر تأويل النصوص وزحزحة الثوابت، لكي نقرب من الغرب وتجاربهم(١).

تلا ذلك الطور **طور التغريب**: والذي تعتبر بدايات القرن العشرين مطلع هذا الطور، وحركة التغريب بمعناها العام: حركة فكرية تقوم على

---

(١) مثل هذا الطور على سبيل المثال لا الحصر: رفاعة الطهطاوي، ومحمد عبده، وخير الدين التونسي، وجمال الدين الأفغاني، وعبدالرحمن الكواكبي، وغيرهم من مقل ومستكثر في هذا الانبهار الذي أعقبه اضطراب في مفاهيمهم وأفكارهم.

اتخاذ الغرب قدوة لها في جميع نواحي الحياة، ساعية جهدها في صبغ الإنسان المسلم بصبغة الغرب قلباً وقالباً[1].

الطور الثالث العصرانية: وبدايات هذا الطور في منتصف القرن العشرين، ولعل هذا الطور لا يختلف كثيراً عن سابقه في المضمون، وإن اختلفت المسميات، إذ إن العصرانية في مضمونها قراءة جديدة للنصوص الشرعية، تعمد جاهدة إلى تأويلها وتحريفها وفقاً لما يتوافق مع متطلبات ومنجزات العصر العلمية والفكرية، دون اعتبار لقداسة النص والمرجعية الشرعية، وهي الكتاب والسنة.

وهذا الطور وسابقه نتج عنهما وظهر بين طياتهما بعض المفاهيم والأفكار المتردد ذكرها بالساحة اليوم من حين لآخر، كالليبرالية: التي لا يمكن أن تلتقي مع الدين؛ إذ من شروطها وأسس أفكارها نبذ كل ما يعارض الحرية البهيمية من دين ونص شرعي مقدس، وعادات وتقاليد وغيرها، علماً أن هذا المصطلح المحدث يحدث إيهاماً بين الإسلام والليبرالية، ويسمح بتمرير ضلالات الليبرالية إلى عقول العامة، كما أن من فكر الليبرالية أن تبيح للشخص أن ينتسب إلى أي دين، وأي مذهب دون أن يعاب أو ينكر عليه، فهذه حرية مطلقة لا قيود ولا ضوابط لها، وقد دل الكتاب والسنة وإجماع المسلمين على وجوب اتباع دين الإسلام الحق ومن لم يتبعه خسر الدنيا

---

(١) كان من أبرز من يمثل هذا الطور: قاسم أمين، وعلي عبدالرزاق، وطه حسين وغيرهم، على اختلاف مشاربهم وأفكارهم.

والآخرة ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقال ﷺ: «**وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِى أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِىٌّ وَلاَ نَصْرَانِىٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»[1].

وكذا العقلانية: الزاعمون أنهم أهل العقل والحكمة، ومن عداهم ليس لديه عقل وحكمة، ويعنون بهم أصحاب الاتجاه السلفي تحديداً، وتعاملوا مع العقل بالطريقة المنحرفة التي تعامل معها أهل البدع عموماً والمعتزلة على وجه الخصوص.

أما التنوير: وإن كان متقدماً تاريخاً في بداياته وفكراً ساد في مرحلة تاريخية من مراحل الفكر الأوروبي الحديث، إلا أن كثيراً من الآراء والأفكار التجديدية اليوم تصب في نسقه من مثل: الفكر التجديدي، أو الفكر التحديثي أو الإسلام الحديث، ولست بحاجة إلى نقل الأدلة على انتماء ثلة من بني جلدتنا إلى هذا الفكر التنويري الضال، إذ يعتقدون أن العودة إلى عصر التنوير هو ما نحتاجه في الفترة الحالية عبر هذا الزمن.

إذاً نستطيع القول إن هذه الأطوار كانت منطلقاً لما شاع وكثر سماعه من التجديد للخطاب الديني، وإن كان انتشاره كمسمى زاد في هذا العصر.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ١/ ٩٣، رقم (٢٤٠).

وباختصار فإن هذا التجديد جعل نصوص الشريعة محكومة بدل كونها حاكمة، فكل النصوص لا بد أن توضع تحت مجهر الحضارة والفكر، والخبرة البشرية المعاصرة، وإن كان هؤلاء تدثروا من ناحية المسمى حتى لا يجدوا وحشة أمام أمة الإسلام، فهم كذلك تدثروا من ناحية الآراء والأفكار بغطاء الإسلام، زاعمين أن آراءهم وأفكارهم إنما هي لخدمة الإسلام وإتيان الأمة بإسلام جديد، ملائم لظروف العصر ومعطياته.

والحق لمن تأمل وتتبع آراءهم وكتاباتهم يجد أنها حرب على الإسلام ومحو له، فهي خطابات علمانية تغريبية عصرانية.

ثم جاء بعد ذلك طور استخدم القوة لغرض التجديد، وقد لا نحتاج إلى ذكر البراهين والأدلة على ذلك؛ فالساحة اليوم خير شاهد وما يوم حليمة بسر.

ولعل مما ساعد على استعمال القوة، هو تفرد قوى واحدة بالسيطرة وذلك بعد نهاية ما يسمى بالحرب الباردة.

ولا ننسى أن نذكر أن أقوى العوامل التي ساعدت على اللجوء إلى القوة لأجل التغيير ضعف الأمة الإسلامية قوة وعقيدة، مع ما يضاف إلى ذلك من حالة الاستعجال الشديد لإحداث ذلك التغيير.

لكن هل يتحقق ذلك بالقوة؟ قد يكون من الصعوبة بمكان، والطور الأخير وإن كان أبطأ، لكنه أقوى وأنجح نتائج، ألا وهو:

طور العولمة:

بدأ ترويج مصطلح العولمة ليقوم بدوره في تحقيق أحلام الغرب في التوسع والسيطرة على العالم في مناحي الحياة كافة.

إذ العولمة عند التحقق منها يراد بها تعميم نموذج حضاري وثقافي واقتصادي على جميع الشعوب، وهذا النموذج مُصدَّر من الدول الأقوى إلى الدول الأضعف وهي بلاد الإسلام، لقد جاءت العولمة بقضها وقضيضها وأحدثت صخباً هائلاً في العالم.

كان ذلك هو البيئة المناسبة للدعوة بقوة لتجديد الخطاب الديني المزعوم اليوم، وذلك على أساس حتمية العولمة، وأنه لم يعد بإمكان أي شعب أن تكون له هوية ذاتية، أو استقلال فكري أو حضاري وثقافي... وهذا يتضح بجلاء بعد أن تفردت قوة واحدة بقيادة العالم، تصدر للعالم ثقافةً خاصةً ترى قداسة عليها أن تجعل الشعوب تتمثل تلك الثقافة، ناسية أو متناسية ثقافات الشعوب وهوياتهم، ساعية جاهدة إلى تحريك قواها الخفية من مؤسسات وحكومات إلى تحقيق هذا الهدف، والذي يعد الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني أقوى بواباته، فتحت شعار العولمة يصار إلى تغيير المبادئ والثقافات والقيم، فالعولمة شعار ومطلب لبعض الدول في محاولة جاهدة إلى دمج العالم وصهره في نسق فكري وثقافي واحد، وهذا الدمج قد يصعب على أصحاب الثقافات الأصيلة والهويات المستقلة كأمة الإسلام، ومن ثَمَّ كان العمل بقوة على إحداث التغييرات الملائمة باسم تجديد الخطاب الديني إذ هو أحد الشروط المهمة في نجاح العولمة في بلاد الإسلام.

إن العولمة في طابعها الحديث تتخذ من القوة الاقتصادية وسيلة للهيمنة، ومن التسليح العسكري أداة للاستيلاء على خيرات الشعوب، والعمل على تغيير أنظمتها بالقوة، وإخضاعها للنفوذ السياسي الأحادي الاتجاه.

شتان بينها وبين ديننا الحنيف، الذي يحمل دعوة صالحة ورحمة للبشرية، يهدم حواجز اللون والعرق والفئة، يجعل الناس سواسية لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، دعوة بالتي هي أحسن ودون إكراه أو تعسف.

أمَّا العولمة في دعوتها تلك، فلا تتورع عن استخدام كل وسيلة لنشر نفوذها في العالم، بإزالة كل عنصر للمقاومة يقف في طريق زحفها، سواء أكان ذلك تحت غطاء الحفاظ على سيادة الوطن، أو حماية الخصوصية الثقافية، أو صيانة الهوية الحضارية والعقدية.

تستند العولمة في زحفها الأيديولوجي على مفاهيم براقة وإن كانت هزيلة المحتوى، كالإصلاح، والديمقراطية، والحداثة، والعصرانية، ومواكبة العالم... وهي كلها مصطلحات تستخدم في مواجهة المفاهيم الذاتية الأصيلة، كالتدين والشريعة والحكم بما أمر الله.

ومن هنا بدا الصراع بين الخطاب العالمي في توجهه، والذي يدعو إلى التمكين لشرع الله الذي يرفع الإنسان من درجة البهيمية والحيوانية إلى مستوى الإنسانية في أرقى صوره، حيث أكرمه الخالق ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾ [الإسراء:٧٠]، وبين العولمة التي تخاطب في الإنسان جانبه

المادي فترخي العنان له لكل ما يخلصه من قيمه الروحية، وثوابته الدينية، كي يسهل بعد ذلك بثه في منهجية العولمة، التي تجعل منه جسراً مديداً للتمكين لبسط النفوذ السياسي، وسيطرة الاستغلال الاقتصادي، والتبشير بعصر العولمة الثقافي.

فالبون شاسع بين إنسان يعده الإسلام على منهج روحي، يسمو إلى السلام والأخوة والمحبة... وبين إنسان تعده العولمة المتوحشة، التي تسقط الإنسان في فخ الغطرسة المادية القوية بجيوشها، المتسلطة بشلالها الإعلامي، الناشرة لفلسفة الانحلال والميوعة والذوبان الحضاري.

المطلب الثالث: وسائل تجديد الخطاب الديني في طور العولمة:

تبين لك أخي القارئ الكريم أن الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني أصبح عملاً مؤسسياً حكومياً، بعد أن كان جهداً فردياً، وهذا العمل المؤسسي لا شك أنه كان على أوسع نطاق بخلاف الجهد الفردي الخاص، ولتوسع هذا النطاق كان انطلاقه من أهم النواحي المؤثرة على المجتمعات والشعوب والتي كان من أهمها:

التعليم:خاصة مناهجه، إذ كان لهذه القوى الكبرى تحت مسمى العولمة ومظلة التجديد، اليد الطولى في التغيير والتحوير في مناهج التعليم في أكثر دول الإسلام.

فلا مناهج تتحدث عن الكفار (بل هو الآخر) وكيف التعايش مع الآخر، وإحياء مفهوم السلام العالمي، كما يريده الغرب الذي هم أبعد ما يكونون عن السلام، زارعين في تلك المناهج أن الأمر يسلم للغرب فهم

أصحاب الرؤية السليمة والتقدير الصحيح، مع ما يضاف إلى ذلك من الدعوة الجاهدة إلى عولمة وعلمنة المناهج، فلا يعرض الدين على أنه خير الأديان وأن الله لا يقبل ديناً سواه، وأنه نور البشرية وعزها وخيرها، بل تعرض قضايا مشتركة للإنسانية كالتسامح والرحمة والعدل... وهكذا، حتى يذوب الحق، وتبرز الدعوة الفاسدة إلى حرية الأديان ووحدتها.

الإعلام بكافة وسائله: سواء المقروءة أم المسموعة أم المنظورة، إذ أسند الأمر فيها إلى غير أهله من أصحاب الأفكار المنكوسة من علمانيين أو متغربين أو عصرانيين تنويريين، مع حفنة من جهلة عوام المسلمين، الذين ليس لديهم علم في الدين الشرعي الصحيح، وهؤلاء مع الأسف الشديد العالم منهم والجاهل كلهم يقعون ويدعون إلى تلك الدعوة من تجديد الدين ونبذ الموروث.

ناهيك عن قنوات غربية مستقلة في ديار الإسلام تبث عن الغرب لغةً وثقافةً وفكراً.

كما لا ننسى في هذا السياق أن نبين ما يسعى إليه بقوة من تجفيف المنابع، والمعني بها تجفيف منابع الدين إذ تدخل بكل خطاب إسلامي لكي يفي بمتطلبات تجدد الخطاب الديني، حتى نلائم الآخر ونقرب منه، فلا نتعرض للغرب وما هم عليه من باطل وتحريف.

كل هذا وغيره أنتج أمة جديدة خافية الفكر والتدين، وصاحب الفكر منهم ذو فكر مشوش منقطع عن أصوله وسلفه يُدندِن لما يُدندَن حوله من تجديد الخطاب وتحريفه.

المنظمات الدولية الكبرى: مثل منظمة الأمم المتحدة، وما أدراك ما الأمم المتحدة إنها الغطاء المانع والداعم لقضية تجديد الخطاب؛ وذلك عن طريق ما تعقده من مؤتمرات، وما تصدره من قرارات، عامتها في تحريف الدين وإبطاله باسم تجديد الخطاب، فهم الدِّين، قراءات النصوص قراءة عصرية... وهكذا، ولا شك أن هذا الدور الذي تقوم به الأمم المتحدة كان موجوداً قبل طور العولمة، لكن تأثيره بدأ يتعاظم في هذا الطور[1].

وهنا وقفة مع بعض المؤتمرات التي تعقد في بلاد الإسلام ويكون محور ذلك الاجتماع (المؤتمر)، هو الخطاب الديني، ثم تخرج التوصيات بإبعاد خطاب الإسلام، وإعادة النظر في المُسلَّمات، كما تؤكد على ضرورة إعادة النشء وتربيته وترسيخ مفاهيم وقيم جديدة، أسوة بما حصل في البلدان التي قامت بالإصلاح الديني في أوروبا والصين واليابان، ملقية على كاهل الدين كل ما يكون من تخلف في التقنية والرقي عن بلاد الغرب.

فكأن الخطاب الديني هو الذي منع من فتح الكُليات العلمية، ومراكز البحث، أو جعلهم ينفقون الأموال الطائلة على التفاهات من السينما والمسرح واللعب، وكأن الخطاب الديني هو الذي منعهم من إنفاق أموالهم لما فيه مصلحة أمتهم ودينهم، وكل ذاك إلقاء بالتبعية على مصدر عزهم وتمكينهم، كل هذا لإرضاء حكومات مولّدة موتورة تسعى لإضعاف الدين وتنفيذ مراد أعدائه، ناهيك عن أن أصحاب هذه المؤتمرات حفنة ممن

---

(١) انظر: دور العقل في الخطاب الديني ص ٧-٨ ، وص٣٣، والتجديد في الخطاب الديني ص٥٩-١٠٥.

يسمون مثقفي الأمة من مفكرين وشعراء وسياسيين ليس بينهم أهل دين أو اختصاص أعلم بالدين وخطابه، وصدق ﷺ عندما ذكر أنه سيأتي على الناس زمان يسند الأمر إلى غير أهله وتتكلم فيه الرويبضة[1].

المطلب الرابع : أهم أسباب ظهور أفكار تجديد الخطاب الديني ما يلي:

١- إتباع الهوى: وعند غلبته لا ينفع العلم ولا المعرفة، بل يجعل العلم والمعرفة سلاحاً لتأييد ما يهواه ويسوِّغ انحرافه، ولهذا ربنا سمى الهوى المتبع صنماً يعبد، فما أكثر من اتخذ ألهه هواه في زماننا هذا. ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾ [الجاثية:٢٣]، وقال تعالى: ﴿**وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِين**﴾ الأنعام: آية:[١١٩].

٢- الانبهار بالحضارة الغربية: وهو ما يعبر عنه بالصدمة الحضارية، وهي نتيجة لواقع المسلمين المؤلم، من التخلف التقني والعلمي التجريبي، وهيمنة الحضارة الغربية في جانبها المادي، وهؤلاء لم يرفعوا رأساً بالجانب الحضاري في تشريعات الإسلام التي لم يصل إليها الغرب ولن يصلوا إليها

---

(١) وهذا الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٢٩١، و ١٣/ ٢٩١، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: إِنَّهَا سَتَأْتِي عَلَى النَّاسِ سِنُونَ خَدَّاعَةٌ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ، قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: السَّفِيهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ. وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه ١١/ ٣٨٢، وابن ماجه في سننه ٢/ ١٣٣٩، وقال عنه الشيخ الألباني رحمه الله: صحيح.

في تشريعاته، وحفظه لحقوق الإنسان وحفظ كرامته، وتوازنه بين حقوق الفرد والجماعة، وعظمة تشريعاته المعجزة التي تصلح لكل زمان ومكان.

وعند التأمل في كثير من أطروحات القوم، ترى أن بيت القصيد هو هذا الانبهار بحضارة الغرب ، والتي كان في السابق ينبهر بها من يسافر إلى ديارهم ويشاهدها، لكن اليوم الكل يرى ويشاهد في ظل عصر العولمة، فيريدون من الأمة أن تنبهر انبهاراً يسبب اليأس من واقع أمة الإسلام والجزم بعدم مصداقية حضارة وقوة هذا الدين الذي تدين به فيقع هذا الانبهار.

٣- الهزيمة النفسية: والضعف والانكسار أمام تلك الحضارة وإفرازاتها، مما جرأ بعض بني جلدتنا على الطعن في الدين، أو القول بأن سبب انحطاط العالم أو تخلفه هو الإسلام أو المسلمون، فقدمت صورة مشوهة عن حضارة الإسلام أو تعاليمه التي هي نور للبشرية ورحمة.

٤- الضعف العلمي: عندما يعرض مثل هذه الشبهات والتلبيس على قليلي البضاعة في العلم سيما وقد توِّجت بأسماء رنانة ودعاوى شكلية مثل حرية النقد، أو الموضوعية، أو اختزال فهم النص، أو التقليد دون إعمال العقل... وغيرها، أما صاحب البصيرة والعلم فيعلم لأول وهلة أنها دعاوى باطله؛ وذلك لمخالفتها أصول الشريعة، إذ حقيقة تلك الدعاوى السماح بنشر الإلحاد والباطل والترويج له بحجة الرأي والرأي الآخر.

ثم إن ما يدعو إليه أئمة الإسلام ودعاته هو في الحقيقة يساير النصوص، ولا يعارض ما يدعون إليه أو يدَّعونه من الموضوعية والشمولية وعدم

إقصاء الآخر..، وغيرها من العبارات التي تحمل بين طياتها قليلاً من الحق وكثيراً من الباطل.

٥- العوامل الشخصية: من تتبع كثيراً من أولئك الكتاب المنظرين لهذا الفكر أو الأفكار تجد أن لديهم كثيراً من المشاكل الشخصية والنفسية، إذ كانوا في ماضيهم أصحاب أفكار غالية ومتطرفة، فحدثت لهم ردة فعل فأصبحوا أقرب إلى دعاة العلمنة والتحلل، ولهذا نُهي عن الغلو فمن يغلو في أمر لا يستبعد أن يكون بعد حين نقيض ذلك الأمر، ولهذا جاء الدين بالوسطية والاعتدال.

٦- الدعم الغربي لهذا التيار: وهذا أمر قطعي يعرفه من قرأ التقارير الغربية الصادرة مؤخراً عن بعض مراكز الغرب البحثية[1].

٧- مصادر التلقي: من يتأمل مصادر أولئك المفكرين الزاعمين التجديد، يرى أنهم تركوا أصول الدين وعماده، وأخذوا بالانكباب على تراث المنحرفين من أمثال الزنادقة والفلاسفة والملاحدة، سواء من كتاب ديار الإسلام أم ديار الغرب، مع ما هم فيه من ضعف بصيرة في العلم الحق، فيزرع ذلك التراث المنحرف والباطل في النفس حب التفلت والتجرد من أي قيود أو ضوابط شرعية، كما أنه يعمق فيها منهج الشك في كل شيء حتى في قطعيات الدين وثوابته الراسخة[2].

---

(١) انظر: مجلة البيان عدد: (٢١٩)، ذو القعدة ١٤٢٦هـ.

(٢) انظر: التطرف المسكوت عنه ص١٢-٢٨، وظاهرة الهجوم على منهج السلف ص١١.

المطلب الخامس : المعالم الرئيسة لفكر تجديد الخطاب الديني:

وعند التأمل في أفكار أولئك المجددين ترى أن هناك معالم أساسية لذلك الفكر من أهمها:

تقديس العقل في مقابل التهوين من شأن النص: ولسنا في صدد بيان أهمية العقل ومكانته في الإسلام وموقف الأئمة منه، وهذا شيء يعلمه ويدركه كل منصف اطلع على ما قال الله وقال رسولهﷺ، لكن المأسوف عليه أن يكون العقل مقدماً على الوحي الإلهي حاكماً عليه، حيث نجم عن هذا الغلو في العقل البشري فاعتقدوا أن العقل له الصلاحية الكاملة والأهلية التامة في أن يستقل بإدراك المصالح والمفاسد بعيداً عن نور الوحي، فأوقعهم هذا التقرير في مزالق خطرة، مع ما يندرج تحت هذا من الجهل الفاضح بحقيقة ما تنطوي عليه النصوص، وسوء ظنٍّ بها، مع ما يورث من عدم الاهتمام بنصوص الوحيين أو بدلالتها، أو حجيتها، أما علم أولئك أن شرع ربنا، ورسولنا وما جاء به رحمة للعالمين، فلاشك أن الرحمة للبشرية لا يمكن أن تأتي بخلاف ما فيه مصلحة العالم، لكن ربما كان أولئك على أُمَّة أهدى من أُمَّة محمدﷺ وما جاء به!! أو أنهم مقتحمو باب ضلال!! وهم لا شك في الثاني حائرون.

ودعوى تعدد قراءات النص الواحد: المعركة التي تدور رحاها الآن بين أقطاب التجديد ومن فتن بهم، وبين من تمسك بدينه وأصول شرعه، أساسها يتمثل في هذه القضية الكبرى (النص) وهل يمكن لأحد أن يفسره

كيف ما شاء بها شاء، وقراءات النص والتجديد فيها أو زعمهم إعادتها، كل ذلك مفاده عدم إفادة النص للعلم واليقين.

وقد يُظن أنه يدخل في هذا الباب بعض من يعيد النظر في بعض الأحكام الشرعية، لاسيما التي اعتقد الناس أنها الحق وما سواها باطل في بيئة من البيئات، وليس هذا من إعادة قراءات النص أو الإتيان بخلاف ما دل عليه، إنما غايتها معرفة دلالة النصوص وترجيح ما لم يكن مرجحا أو سائداً أنه الراجح، فهو وإن أتى بحكم جديد على بعض العامة إلا أنه لم يخرج عن النص ودلالته، يستثنى من ذلك من يطارد الشواذ من أقوال العلماء والرخص منها.

ولكن المراد من زعم أن النص يدل على عدة مذاهب وكلها صحيحة، وهذه العقيدة الفاسدة تفتح الباب على مصراعيه لكل باطل ومبطل أن يستدل على مذهبه الفاسد بالنصوص الشرعية، ولهذا لا يستغرب اتكاء أهل التجديد على هذا الأصل الفاسد لتسويغ باطلهم وتمرير انحرافهم، وهذا المذهب في حقيقته لم يكن جديداً فقد وجد في الأمة من زعم ذلك من قبل أولئك، كما بينه الإمام ابن قتيبة: «ثم نصير إلى عبيد الله بن الحسن وقد كان... يقول: إن القرآن يدل على الاختلاف، فالقول بالقدر صحيح وله أصل في الكتاب، والقول بالإجبار صحيح وله أصل في الكتاب، ومن قال بهذا فهو مصيب، ومن قال بهذا فهو مصيب؛ لأن الآية الواحدة ربما دلت على وجهين مختلفين، واحتملت معنيين متضادين، وسئل يوماً عن أهل القدر وأهل الإجبار فقال كل مصيب، ... قال: وكذلك القول في الأسماء، فكل من سمى الزاني مؤمناً فقد أصاب، ومن سماه كافراً فقد أصاب، ومن

قال: هو فاسق وليس بمؤمن ولا كافر فقد أصاب، ومن قال: هو منافق ليس بمؤمن ولا كافر فقد أصاب، ومن قال: هو كافر وليس بمشرك فقد أصاب، ومن قال: هو كافر مشرك فقد أصاب؛ لأن القرآن قد دل على كل هذه المعاني،... قال: ولو قال قائل: إن القاتل في النار كان مصيباً، ولو قال: هو في الجنة كان مصيباً، ولو وقف فيه وأرجأ أمره كان مصيباً؛ إذ كان إنما يريد بقوله: إن الله تعالى تعبده بذلك وليس عليه علم المغيب،... وفي هذا القول من التناقض والخلل ما ترى، وهو رجل من أهل الكلام والقياس وأهل النظر»[1].

وبين ذلك شيخ الإسلام وأوضح أنه قول السفسطائية من الفلاسفة، ثم أخذ ذلك عنهم طوائف من ملاحدة الصوفية[2].

وعلى هذا فهم يصححون كل الأديان والمذاهب الباطلة، ولم يجعلوا لنصوص القرآن والسنة منـزلة ولا حرمة، فكل شخص يفسر النص ويفهمه بما يريد ويشتهي لا بما هو عليه في الحقيقة، بل يتجارى بهم الأمر إلى رد السنة لأنها لا تتوافق مع العصر ومتطلباته ومستجداته، أو أن السنة منها ما هو تشريعي ومنها ما هو غير تشريعي، وما كان كذلك فلا يلزم الأخذ به، كل هذا التقسيم أو الرد من عند أنفسهم وأهوائهم الظاهرة والخفية.

وهذا التطاول على السنة والشريعة بوجه عام، لا شك أنه أثر في موقفهم حتى من أصول الدين الكبار في التوحيد والإيمان والولاء والبراء والحكم

(١) انظر: تأويل مختلف الحديث ص/ ٤٤-٤٥.

(٢) انظر: الفتاوى٢/ ٩٨، والصواعق٢/ ٦٣٣.

بما أنزل الله، والرزية كل الرزية أن يتصدر لمثل هذا ويتكلم ويتطاول من يفقد الفقه في الدين ومعرفة أحكام الشريعة، مع وصفهم لتاريخ الأمة وتراثها بالرجعية، والتخلف والجمود على الماضي، وهذا الموقف السَّلبي من تراث الأمة أورث دعوة خطيرة إلى التحرر من هذا التراث وضرورة نقده، بدعوى التجديد أو تجديد الخطاب الديني، مع وصفهم الدائم والدائب لهذا التراث بالتشدد والعنف والإقصاء واللا إنسانية، وأن هذا التراث هو المنبع الأساس للتكفير والتبديع، بل إلى ما هو أسوأ من ذلك، فكل سوء في البشرية وتخلف بسبب هذا التراث والعياذ بالله.

وبعد هذا كله ونقدهم لأمتهم وتراثهم ارتموا في أحضان الغرب، وفتنوا بهم أيما فتنة، بالقيم الغربية، والحرية حسب المفهوم الغربي، وحدث ولا حرج عن إعجابهم شبه المطلق بالغرب بشكل عام، ووضعه مقياساً ونبراساً للحضارة والتقدم.

فهم يقدمون حسن الظن بهم، وأنهم لا يكيدون للإسلام ولا لأهله، وأن المتدينين يعيشون عقدة المؤامرة، وأن هذا العداء القائم في الساحة اليوم من الغرب على أمة الإسلام السبب فيه هو المسلمون أنفسهم[1].

المطلب السادس : دوافع وأهداف هذا التجديد:

الدوافع والأهداف لهذا التجديد منها أهداف ودوافع خارجية وأخرى داخلية، أما الخارجية فبما أن للغرب اليد الطولي في هذا التجديد المزعوم والدعوة إليه وحمايته وإمداده، يستقر في الأذهان مباشرةً أنه ليس في خدمة

---

(١) انظر: خطاب التجديد الإسلامي الأزمنة والأسئلة ص١٣٣.

الإسلام وأهله؛ فلا يمكن أن يدعو الغرب لما فيه مصلحة الإسلام وهذا واضح.

إذاً ما هي دوافع الغرب وأهدافه لهذا التجديد، لا شك أن هناك أهدافاً كثيرة كان من أهمها:

الاستمرار في الانفراد بقيادة العالم: يرى الغرب أنهم استطاعوا السيطرة على العالم من خلال احتكار آلته العسكرية، والتقنيات القوية، وبذلك استطاعوا كسر إرادة الشعوب وما تصبوا إليه، بل هم فقط المسيطرون والقياديون، وحتى تستمر هذه السيطرة لا بد من كسر كل الأجنحة التي تحاول الطيران لتعكر صفو هذه الهيمنة، وهم يخافون من الإسلام وقيامه، ويعتقدون أنه المرشح لقيادة العالم بعدهم، إذا سقطوا وبقي الإسلام على محافظته الدينية وتميزه الحضاري والأخلاقي، وهذا يعترف به قادتهم وعقلاؤهم.

لهذا سارعوا إلى الدعوة إلى التجديد في الخطاب الديني الذي يخاطب الأفكار والآراء؛ إذ بتغيير الدين أو بعضه أو تشويشه ونزع اليقين به، يفقد المسلمون مسوغات قيادتهم وتمكينهم في الأرض، وتبقى السيطرة للغرب بلا منافس.

الاستيلاء على خيرات البلاد وثرواتها (العالم الثالث):

إن وجود الفجوة العميقة بين دول الغرب والعالم الثالث، حدا بقادة الغرب إلى الاستيلاء على تلك الثروات في تلك البلاد، والتي من ضمنها بلاد الإسلام، إن هذه الثروات في أيدي أناس ضعاف – في نظرهم- لا

يعرفون استغلالها، فما المانع من الاستيلاء عليها وأخذها تحت أي مسمى حرب الإرهاب، نشر الديمقراطية ....، لاسيما وأن من نظر في تاريخ الغرب الكافر يجده حافلاً بالاستغلال والسيطرة والاستعمار.

إن هذا المسوغ في نظر الغرب لسلب خيرات تلك البلاد، قد يكون معوقاً له أو مشوشاً عليه، أولئك المتمسكون بالدين المجاهدون لهم، والفاضحون لخططهم، فلا بد من إقصاء هذا المحرك لهذه الفئة وهو الدين والتدين، ولا يكون ذلك صراحة ؛ بل بمسميات جذابة، تبطله وتجعل تلك الشعوب تسلم خيراتها وهي راضية، ألا وهي تجديد الخطاب الديني، الذي من أهم سماته بث الصداقة ورفض العداوة التي تأكد عليها النصوص بين المسلم والكافر.

إيقاف مقاومة العولمة:

من خلال مؤسسات ومنظمات واتفاقيات من أشهرها اتفاقية الجات التي سعت من خلال العالم الغربي إلى إدخال عامة دول العالم فيها، ويراد منها فتح أبواب أسواق تلك الدول، خاصة العالم الثالث أمام منتجات الغرب بدون عوائق، وتصدير نمط حياتهم الاستهلاكية في التعامل مع تلك الملذات، وتمخض عن ذلك كله ما ذاع واشتهر باسم العولمة التي تحاول دمج العالم كله في نسق واحد ، في الثقافة والاقتصاد والأخلاق، وهذا الدمج يرفضه الإسلام؛ الذي هو أوسع وأشمل وأدق وأصدق وأكرم من أن يندمج مع ذلك الخليط الرديء من الأخلاق والثقافات

والأفكار البائسة والباطلة، فكان لابد من عملية تحريفٍ باسم التجديد للخطاب الديني؛ حتى يقبل الإسلام أن ينصهر في ذلك الخليط الرديء.

قد يقول قائل أو قارئ كريم إن هذا فيه شيء من المبالغة، أو وَهْمِ المؤامرة، لكن من قرأ ونظر فيما يكتبه الغرب ويتواصون ويوصون به في مؤتمراتهم، علم علم اليقين أن ما قيل قليل في حق ما يحاك ويعد لحرب هذا الدين، فتجد كتابهم دائماً يعتبرون الإسلام هو المشكلة الحقيقة في رفض التغريب، أو تطبيع الشعوب ومحو ثقافاتها، فيكون الصدام بين الإسلام والغرب، ويرون الحل لتلافي ذلك الصدام، هو الاندماج وقبول التغريب.

وهذا لا يتحقق إلا بتبديل الدين وتغييره، وهكذا يكون بهذا التجديد للخطاب الديني المزعوم، ومن هنا يتبين حرص الغرب على هذا التجديد[1].

ثم ليعلم أن هذه الدعوة من الغرب الكافر لم تأت بمجرد الصدفة، بل عمل لها الدراسات والتحري حتى علموا أن أنجح طريقة هو إبعاد المسلمين عن دينهم الحق.

ثم عملوا على تكريس جهودهم لهذا مع المجالات العسكرية والاستخباراتية، والضغوط المالية، والقنوات الإعلامية كافة[2]، وعقد الدورات والمؤتمرات لأبناء الأمة لأجل تقرير هذا وتأكيد وجوب تجديد

---

(١) انظر: التجديد في الخطاب الديني ص١٠٦، وظاهرة الهجوم على منهج السلف ص١٥.

(٢) بل تطور الأمر إلى وضع لجان لتطوير الخطاب الديني ضمن مجالسهم الرئاسية أو الكنجرسية، كل هذه اللجان لأجل مشروع الديمقراطية والتنمية المزعومة.

الدين، وما تصريحات أولئك القادة الغربيين في تغيير الدين عنا ببعيد، بل يجدها كل شخص بحث عنها في مجلاتهم أو عبر الانترنت، وقد لا يحتاج الموضوع إلى بحث فما كان مستوراً بالأمس في طيات الكتب والمكتبات الخاصة، اليوم أصبح ظاهراً مشهوراً يعلمه كل من يراقب الساحة ويسمع أخبارها.

هذه من ناحية الغرب وأهدافه لدفع مسيرة هذا التجديد، أما الأهداف الداخلية والتي من بني قومنا فكانوا يدعون لهذا التجديد لعدة أمور تنبثق من المعالم الرئيسة لهذا الفكر والتي كان أهمها ما يلي:

نقد الثوابت والتشكيك فيها، وهذه الدعوة الخطيرة ترفع في ظاهرها شعارات براقة، كالتجديد، ورفع مستوى التفكير، وأن العبرة بالقيم والمضامين لا بالشكل والقوالب... وغيرها، غير أنها في طياتها تحمل بلاءً وفتنة ورجساً قذراً للأمة، وما ذلك إلا لأنها لم تأسس في حقيقتها على تقوى من الله وهدى، إذ يتعاملون مع الشريعة وكأنها خطة إصلاحية مؤقتة بزمن، ولهم أن يغيروا ويحوّروا في شكل الخطة ما أرادوا.

ومما يتردد بين أولئك المجددين في نقد الثوابت والتشكيك فيها الدعوة إلى ترك الثبات على ما جاء في نصوص الشريعة، أو أجمعت عليه الأمة، متهمين العاملين بنصوص الشريعة الواقفين عند حدودها، بأنهم نصوصيون تراثيون جامدون يعبدون النص، ليس لديهم فهم عميق لتغيرات الزمان والمكان... وهكذا.

وهذا الفهم العميق للنصوص بزعمهم جعل رموز العولمة والعاملين في خدمتها يجتهدون في إحياء المدرسة التأويلية لتجديد الخطاب الديني، وهذه المدرسة هي الاتجاه العقلاني العصراني الذي سينقل المسلمين إلى مواكبة الحضارة وإلى أن يعيشوا العصر وثقافته وآلياته، زاعمين أن للمسلمين تراثاً في ذلك، هو تراث المعتزلة فرسان العقل، وتراث الفلسفة الإسلامية وفلسفة التصوف الإسلامي، التي أفادت الغرب في وثبته الحضارية، وهذا التراث هو الذي يُمْكِنُ أن يُكَوِّن عوامل ثقافية مشتركة، تقربهم إلى الغرب المسيحي[1]، مع ما يرمون من وراء ذلك إلى تمييع الدين وإفراغه من معانيه الأصيلة، وحقائق الشرعية، وتطويعه بحيث يكون ملائماً لمراد الغرب.

وإن كان الشيء بالشيء يذكر لترديدهم عدم التقليد وتغير الزمان، فإن مما يدعون إليه: القول بوجوب تغيير الأحكام الشرعية بتغير الزمان والمكان، جاعلين ما يمر به الزمن اليوم من تقنيات عالية وتغيرات متلاحقة سبباً رئيساً لتغيير أحكام الشريعة سواءً تغييراً جزئياً أو كلياً.

والمترتب على هذه الفلسفة هو تغيير أحكام الشريعة ونسخها، بسبب تغير الزمن وحضاراته إما لكون الشريعة لا تتناسب وهذا الزمن، وإما أنها جاءت قاصرة عن معطياته ومتطلباته، وهذا لا شك قول باطل ناسف لشرع الله، متهم له بالقصور والجمود، وعدم صلاحيته لكل زمان ومكان.

ويزداد عجب المرء إذا علم أن أولئك لا يملكون أدوات التجديد الشرعي إذ إنهم أجهل الناس بها، ومع ذلك تراهم عبر المجلات

---

(١) انظر: البلاغ المبين ص١٤.

والصحف والقنوات الفضائية، ينعقون ويصيحون بضرورة هذا الأمر، فدعواهم التجديد لتراث الأمة لا تعدو أن تكون في حقيقتها إلا تحريفاً وتخريباً وتدميراً لهذا التراث المجيد.

المطلب السابع : نقد الفكر التجديدي وأهم آثاره الخطرة على أمة الإسلام:

أرأيت الذي يعمد إلى منبع عذب رقراق فيكدر صفوه، وإلى نهر **ثَرّ** فيحول مصبه؟ أرأيت أنكى ممن يأوي إلى واد ذي زرع خصب، ينشر الخضرة والنماء حوله، فيعمل على تحويل خصوبته إلى جفاف، وخضرته ونمائه إلى يبس، حيث لا ماء ولا اخضرار!؟

إن ذلك هو حال أولئك الزاعمين تجديد الخطاب الديني، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، فيعلنونها حرباً على الدين باسم العصرنة، وعدواناً على النصوص باسم التجديد..

وقد يركبون عدة موجات فتارة العلمنة، وتارة الحداثة، وثالثة العصرنة... وهكذا يفسدون في الأرض ولا يصلحون، تعرفهم بسيماهم ولحن القول وشذوذ السلوك.

عقول منحرفة يتمثلها خريجو المدرسة الاستعمارية الفكرية لا الجسدية، فمدرستهم هي التي دفعت إلينا بمحترفي منهج الشك والتشكيك في قدرة ثقافتنا على مواكبة العصر، ومعايشة التطور، ولا يمكن للمسلم أن ينطلق إلا بفك قيود الدين، ومن هنا جاءت سلسلة محاولاتهم بدءاً بتجفيف المنابع وانتهاءً بتجديد الخطاب الديني.

فأصحاب ذلك الخطاب مفجوعون بواقعنا المتردي، لذا هم يتعاملون مع ثقافة جاهزة بمفاهيمها ومصطلحاتها المعدة لغيرنا، لنتخذها ركائز لبنائنا العقلي وإبداعنا الفكري بحجة أنها ثقافة الآخر الذي فاقنا في التطور والتقدم، وما علم معظم أولئك أن تلك المفاهيم والمصطلحات الثقافية المستوردة، قد كانت لها نتائج عكسية على مستعمليها، لأنه يراد تطبيقها بأرض غير أرضها وعلى إنسان غير إنسانها.

والحقيقة أن أخطر ما أصاب العقل المسلم، هو هذه الانسلابية التي جعلته يعيش في المنفى الثقافي بين ذويه وبني قومه، فلا اللغة المستعملة، ولا التعبئة العقلية السائدة، ولا خصوصيات الصراع الديني أو الأيديولوجي الذي يطبع الثقافة الغربية، والذي لا يمكن أن ينطبق على واقعنا المعرفي، فلا يوجد في مجتمعاتنا صراع بين السلطة الروحية والسلطة السياسية، حتى تستورد قوالب هذا الصراع وتطبق على واقعنا، ثم غيرها من الثقافات الأخرى فثقافة العري، والعنف، وتحلل الإنسان، وفقدان الرابطة الزوجية، وفلسفة الخيانة الأسرية، أدركنا إلى أي حد نحن نعيش معصوبي العقول والعيون في عالم لا نراه إلا في تلفزيون الآخرين.

إن هذه السلوكيات الشاذة ما هي إلا نتائج فاسدة لمقدمات خاطئة، وهي بالتالي الأوبئة الفتاكة التي ورّثتنا إياها الصدمات الثقافية الاستعمارية الغازية.

لقد نجح الغرب عندما سرب إلينا حبوب منع الإخصاب الذاتي فكرياً وثقافياً فجعلنا لا نرى إلا ما يرى، ولا ننظر إلى الحياة إلا بمنظاره الخاص،

تشبث ذلك في قلوب فئة من مثقفي مجتمعنا فراحوا يبدلون في الأصول والنصوص، كل ذلك حتى يقربوا من الغرب المعجبين به وينظروا من منظاره ويزيحوا كل من يشوش على هذا المنظار أو يحجز النظر منه، وكان رأس ذلك في زعمهم هو أصول هذا الدين، فقالوا: لا بد من تهذيبها أو تحريفها أو إزالتها إذا صادمت ذلك.. هذا وغيره باسم تجديد الخطاب الديني زعموا.

تلك إذن هي انسلابية الفكر عند بعض مفكرينا الذين ضاقوا بثقافتهم ومعتقدهم، على سعتها، فلجأوا إلى ثقافة الآخر ومعتقده ينشدون التقدم المزعوم، ويبحثون عن الطمأنينة النفسية التي لم يعودوا يجدونها.

فخطاب التجديد الديني عمد إلى مصطلحات ومفاهيم صيغت على قدر العقل الغربي، فيستعيرها ليجعلها واقعاً في ثقافتنا ذات الخصوصية العربية الإسلامية، وهو ما يحدث في عقلنا تمزقاً نفسياً يتفجر في شكل ذبذبة واضطراب وقلق، وهو هذا الواقع المشين في ذلك التجديد المزعوم.

إذن نحن مطالبون بضرورة اتخاذ تدابير الوقاية من هذه الذبذبات النفسية التي تفشت في الغرب، وهي تتسلل إلينا عبر قنوات شتى كان من أهمها العولمة.

ولعل من أهم هذه التدابير هو العودة إلى ثوابتنا الأصيلة -من النصوص الشرعية- والإيمان بقيمة هذه الثوابت، وقدرتها على الإبداع الحضاري، كي يسهل البناء الذاتي السليم، والتعامل مع الآخرين على أساس الفهم القويم.

وما يمكن تسجيله في هذا المستوى من التشخيص هو أن أسباب النكسة، وعوامل الإعاقة لا تعود إلى قصور ذاتي في العقل الإسلامي الذي سبق أن أدى دوره كاملاً غير منقوص في عملية التقدم الإنساني، كما أن معيقات التقدم لا ترجع إلى طبيعة الثقافة التي نحملها، أو نوعية الحضارة التي ننتمي إليها، وإنما العلل والأسباب تعود إلى عوامل خارجية، هي سبب ما نعانيه، فالضربات الكثيرة التي تتالت على فكرنا الإسلامي بدءاً بالصدمة الاستعمارية المدمرة، وانتهاءً بمخاطر العولمة التي ناءت بكلكلها على أرضنا فهيمنت على خيراتنا، وسلبت حرية إرادتنا، وهمشت مراكز القرار في مجتمعاتنا[1].

ويتلخص مما سبق أن لهذا الفكر التجديدي خطرا على أمة الإسلام في عقيدتها، وأخلاقها، وسياستها العالمية، ومن ذلك:

- التشكيك في العقيدة الصحيحة وزعزعة الثقة بها، بما يطرحون من آراء وأفكار يكون لها أكبر الأثر في ذلك.

- تشويه تراث الأمة عقيدة وشريعة، وأنه يحتاج إلى تجديد وتعديل، ومن ثم القطع التام بين الأمة ومصادر تلقيها الصافية الصحيحة.

- إحياء التراث الفلسفي والمعتزلي، وتقريبه للناس في قالب جميل مزخرف، مما يؤدي إلى قبول هذا التراث المنحرف بعد الجهل المخيم على كثير من الناس.

---

(١) انظر: فيما تقدم الخطاب الإسلامي المعاصر ص٣٤٥-٣٨٧.

- الهزيمة النفسية أمام الأعداء التي يريدون أن يغرسوها في أفراد الأمة بإلغاء بعض الأحكام المتعلقة بموقف المسلم من الكافر أو تمييعها، والتكرار على طرق أن أمة الإسلام لا يمكن أن تتقدم أبداً، وأنهم أمة متخلفة، مع الانبهار بالغرب والحث الجاد على أن طريق النجاة هو اتباعهم والسير خلفهم، وأن ما عندهم لا يخالف صراحة ما عندنا.

- إفساح المجال لهذا التيار المنحرف وغيره من التيارات، بدعوى حرية الرأي والانفتاح على الآخر.

- أما عن طمس الأخلاق الإسلامية فلا يألو جهداً دعاة ذلك الفكر، إذ فتح هذا الفكر الحريص على تتبع الغرب في كل سلوكهم، فأصبح بوابة لدعاة التغريب الذين لو طبقت المجتمعات كل ما يرونه ويؤصلونه لأصبحت منحلة لا تعرف معروفاً ولا تنكر منكراً.

- أما عن إبعاد الأمة وإقصائها عن مكمن عزها في سياساتها الداخلية والخارجية، فهو السعي الدؤوب لفصل الدين والشريعة وأحكامها عن حياة الأمة السياسية، وحصر ذلك في المساجد، وهذا هو قول العلمانية، وإفقاد الإسلام أهم خصائصه المتمثلة في كونه ديناً شاملاً تاماً، جاء بقيادة الأمة في جميع جوانب حياتها المادية والروحية، ولذلك دعاة التجديد لك أن تصفهم بالعلمنة فهم منها قريبون، وبالتغريب فهم إليه داعون، وبالعصرنة التي لها يمجدون، مع الحرص على الولاء التام للفكر الغربي، والاستقواء بالأجنبي[1].

---

(١) انظر: التطرف المسكوت عنه ص٣١ وما بعدها، وظاهرة الهجوم على منهج السلف ص١٧.

وهنا يحصل تفتيت المجتمع من الداخل وتعريض وحدته لأخطار جمة؛ وذلك أن طرح عملية التجديد كما يريدها أعداء الدين ليست مقبولة في المجتمع المسلم، فالعلماء والدعاة وعموم الأمة لن يقبلوا بذلك، فيحصل الانقسام في المجتمع، وإبعاد الفجوة بين المجتمعات وبين حكامها، فكانت هذه الدعوة المزعومة مدعاة للفرقة لا للائتلاف كما يزعم دعاتها.

كما أنه يحصل التدهور من الداخل بسبب ذلك التذبذب في الفكر، فالكل يدعو ويتكلم صاحب العلم والحق ومن ليس كذلك، مما يجعل المجتمع متفككاً فكرياً، وهذا التفكك الفكري لا شك أنه هو الأساس للتفكك والعداوة الجسدية.

ومن هنا تكون الدول الإسلامية مجرد دويلات غارقة في التبعية للغرب، من كافة الجهات، والغرب فقط هو صاحب التقدم التقني والقيادة في العالم[1].

وعند التأمل في الأحزاب الدينية النصرانية تجد الكل يخطب ودها لاسيما عند الانتخابات، والتنصير على قدم وساق بدعم الدول والحكومات والشركات وأفراد المجتمع.

ثم لنفرض تنـزلاً أن المجتمع جاء على ما تريدون، وجدد الخطاب، وخالف الأصول، وانقسم الناس منهم الليبرالي المجدد، والعصراني المجدد، والاغترابي المجدد، أو أنهم اتفقوا على التجديد مطلقاً، وخرجت

---

(١) انظر: التجديد في الخطاب الديني ص١٢٦، وخطاب التجديد الإسلامي الأزمنة والأسئلة ص٤٤.

المرأة، ووجدت المسارح، وأبعد الدين وأهله، وتحقق ما تريدون، وأخذ الناس يتشبهون بالغرب الذين على زعمكم أن الواجب السعي وراءهم...، ورقصتم طرباً، ثم ماذا؟!!

ألا ترون أن هذه الفوضى الدينية والاجتماعية، قد وجدت في كثير من ديار الإسلام ثمَّ ماذا؟

ألم تدركوا أنكم تتحدثون خارج الإطار، أو أنكم تقحمون الدين والنصوص الشرعية في فشل هو منه براء، لم يمنع الدين من العلم، ولا الاختراعات العلمية، ولا قيادة العالم والتجديد له، بل أمر بذلك كله خلاف النصرانية التي تقيسونها بالإسلام.

ثم هل الدين وحزب الدعوة، حزب الله ﴿**أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهَّ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [سورة المجادلة آية:٢٢]، أمروا بالتقاعس عن التقدم، أو نهوا عن الاستفادة من علوم الغرب، كما استفاد الغرب من علومنا سابقاً لا والله، بل أرادوا أن نجمع بين التقدم الحسي والمعنوي، والروحي والتقني، الذي تريدون الفصل بينهما.

إن الناظر في نصوص الشريعة الفاقه لها، يرى أنها تكرس نصوصها بأن العز والتمكين في الأرض -المراد للجميع- مفتاحه وبداياته تكون من الالتزام الحق بنصوص الوحيين ﴿**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَللهِّ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾ [الحج:٤١]، ﴿**وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا**

الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر:١-٣]. والآيات والأحاديث في ذلك أكثر من أن تحصى هنا.

وضع الإمام مالك رحمه الله قاعدة عظيمة تلخص مجمل ما سبق وهي قوله: ((**لَنْ يَصْلُحَ آخرُ هَذهِ الأمةِ إِلاَّ بما صَلُحَ بِهِ أَوَّلها ؛ فَمَا لَمْ يَكُنْ يومئذ ديناً لاَ يَكُونُ اليَوم دِيناً**))[1].

وبناءً على ما تقدم نستطيع القول إن الانحراف الفكري في زعم تجديد الخطاب الديني هو رأس الانحراف وذروة سنامه فيما سواه من انحرافات أطلت بها العولمة على عقيدتنا، وما ذاك إلا لأن المرء إذا تغير فكره وابتعد عن هدى الإله فلا تسأل في أي وادٍ يهلك فيه نفسه، إذ تجده سباقاً لكل فكر ورأي يخالف شرعة ربه، وفيما تقدم من أسباب وأهداف في تجديد الخطاب الديني نراها هي بعينها في غيرها من انحرافات عقدية في ظل عصر العولمة فلا نحتاج إلى إطالة البحث بتكرارها.

ولعل هذا يتضح في المباحث الآتية من أثر العولمة في التعايش بين الشعوب والدعوة إلى حرية الأديان، والدعوة إلى تقليد الكفار والتشبه بهم، فهي وباختصار صور لذلك الانحراف الفكري الداعي لتجديد الخطاب الديني، فمن يدعو إلى السير وراء الغرب والاقتداء بهم، لاشك أنه داعٍ وحريصٌ على التعايش معهم والتقليد لهم.

---

(١) انظر: المدخل لابن الحاج ١/ ٢٦٢، والاعتصام للإمام الشاطبي، ١/ ٦٥، ورواه بسنده ابن حزم في الإحكام (٦/ ٢٢٥)

المبحث الثاني:

أثر العولمة في الدعوة للتعايش وحرية الأديان:

إن الدعوة للتعايش وحرية الأديان من أهم القضايا التي كثر فيها الحديث، وأخذت تشغل عقول صفوة من العلماء والمفكرين والمهتمين بمصير التدافع الحضاري على جميع مستوياته.

والمتحدثون في هذا الموضوع كثر جدلهم، فمن مؤيد للتعايش والدعوة لحرية الأديان، خاصة في ظل عصر العولمة، ومن رافض له في كافة صوره، والحق قبل أن نحكم على هذين الرأيين لا بد أن نفهم التعايش والدعوة لحرية الأديان، والمراد بها، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره.

المطلب الأول : مفهوم التعايش والدعوة لحرية الأديان:

التعايش معناه: أن يعيش الناس على الألفة والمودة، والعيش من الحياة وما تكون به الحياة، كذا جاء في معاجم اللغة[١].

أما حرية الأديان[٢]: فالمراد بها أن للمرء الحق في اختيار ما يريده من دين ولو كان باطلاً، كما أن له الحق في التحول من دين لآخر، ولو استوجب ذلك ردته عن الحق.

---

(١) انظر: لسان العرب٦/ ٣٢١، والقاموس المحيط ص٧٧٣، والمصباح المنير٢/ ٤٤٠.

(٢) جاءت هذه الدعوة بشعارات وأسماء كُثر لكنها تصب في نسق واحد منها: توحيد الأديان، توحيد الأديان الثلاثة، الإبراهيمية، الوحدة الإبراهيمية، وحدة الدين الإلهي، المؤمنون، التعايش بين الأديان، العالمية وتوحيد الأديان، ثم لحقها شعار آخر هو: وحدة الكتب السماوية، ثم امتد أثر هذا

وعند التأمل في مصطلح التعايش نجد أن من أسسه الأولى حتى يتم ذلك التعايش الدعوة إلى حرية الأديان، فالتعايش وحرية الأديان وجهان لعملة واحدة.

وهذا يتضح ببيان أن التعايش وحرية الأديان يسيران في عدة اتجاهات كان من أهمها:

الاتجاه السياسي: والذي يحمل الحد من الصراع، أو ترويض الخلاف العقائدي.

الاتجاه الاقتصادي: يرمز إلى علاقات التعاون بين الحكومات والشعوب فيما له صلة بالمسائل الاقتصادية والتجارية.

الاتجاه الديني الثقافي الحضاري: وهذا هو الأحدث والذي خرج اليوم بقوة كبيرة في ظل العولمة العالمية، وهذا هو بيت القصيد إذ يشمل تحديداً التعايش الديني وحرية الأديان، وعلى هذا المستوى جاءت عبارات التعايش الديني أو بعبارة أدق التعايش بين الأديان.

المطلب الثاني : أنواع الدعوة للتعايش وحرية الأديان:

لاشك أن هذه الدعوة للتعايش والقول بحرية الأديان تشتمل على حق وباطل، وإن كان طرحها اليوم بالساحة يراد منه الباطل، لكن من الواجب علينا أن نعرف الحق فيها والباطل منها حتى نميزه، ولا يلتبس حقها من

الشعار إلى فكرة طبع القرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل في غلاف واحد، ثم دخلت هذه الدعوة في الحياة التعبدية العملية، إذ دعا «البابا» إلى إقامة صلاة مشتركة من ممثلي الأديان الثلاثة، في إيطاليا بتاريخ:٢٧/ ١٠/ ١٩٨٦م. ثم تكرر هذا باسم: «صلاة روح القدس».

باطلها، إذ إن كثيراً من دعاة الفكر الضال يمررون آراءَهم وأفكارهم عبر قليل من الحق ليكون سلَّماً لكثير من الباطل.

النوع الأول:

وهو ما في التعايش وحرية الأديان من الحق.

أما التعايش فإن من تأمل حال المصطفيﷺ في المدينة يجد أنه تعايش مع ساكنيها مع ما هم عليه من ديانات تخالف الإسلام، وما كان يحمله عليه الصلاة والسلام من أنه بعث للناس كافة، وأنه رحمة للعالمين يستوجب أن يتعامل مع غير المسلمين، على أساس الإحسان والتسامح والاحترام، وخطابات أمراء المسلمين لقادة الجند ترى فيها التسامح وحسن التعامل وعدم الجور في المعاملة، بل إن كثيراً من أصحاب الديانات الأخرى، ليعترفون بأن كونهم تحت إمرة المسلمين أحب إليهم من إمرة قومهم، ولا أحتاج لإطالة القول في هذا، فما تعرفه النفوس وتشاهده من سماحة هذا الدين، وشهادة أصحاب الديانات الأخرى في ذلك أكثر من أن يحصى.

ولكن الوجه غير الصحيح أو السيئ لهذا الأمر، هو أن يكون هذا التعايش في ظل هذه العولمة والانفتاح سبباً في تمييع الدين، وعدم الاكتراث بما يكون من انتقاصه، وإلغاء مفهوم الولاء والبراء، وإهمال الدعوة إلى الله والعقيدة الصحيحة، بحجة التعايش وحرية الأديان والأمر الأسوأ أن يكون هذا التعايش سبباً لفعل الحرام وترك الواجب، وتفاصيل هذا تطول.

كما لا يجوز أن يفهم هذا التعايش والإحسان والتسامح الإنساني الذي جعله الإسلام أساساً راسخاً لعلاقة المسلم مع غير المسلم على أنه انفلات،

أو استعداد للذوبان في أي كيان من الكيانات التي لا تتفق مع جوهر هذا الدين، علماً أن هذا الإحسان في المعاملة لا يلغي الفوارق والاختلافات الموجودة بين الإسلام والكفر ولكنه يؤسس العلاقات الإنسانية التي يريد الإسلام أن تسود حياة الناس.

إن التعايش الذي يسلب المؤمن هويته، ويجعل توازنه يختل وكيانه يهتز، هو ليس بتعايش وإنما هو غش واحتيال وتضليل[1].

وعندما تمر سريعاً على الإطار الذي رسمه الإسلام لمن عاشوا في دياره وتحت حكمه من غير المسلمين تجد النقاط التالية:

- محاربة الإلحاد والانحلال الخلقي بكافة صورة، فكانت تقام الحدود على من يتعدى أو يتجاوز ما حده الله وأمر به.

- يُمنح لمن يعيش في ديار السلام الأمن والعدل، وعدم الاضطهاد، أو الإكراه على ترك دينه، واحترام كرامة الإنسان.

- يُنصف المظلوم منهم من ظالمه، ويعطى مقومات الحياة، ولا يمنع من مزاولة نشاطات حياته المعيشية، فلا يضيق عليه عيش، ولا يمنع مما يستحق بل يعطى من الزكاة تأليفاً له.

- مراعاة كافة أحكام الشريعة المتعلقة بهم فشرعُ اللهِ عدلٌ ورحمةٌ للعالمين، كأحكام أهل الذمة، وعقيدة الولاء والبراء، فَلا تلازم بين الإحسان والعيش الكريم والتسامح في المعاملة وبين الموالاة للكفار، أو

---

(١) انظر: الحوار من أجل التعايش ص٩٠.

ترك البراءة منهم، فالولاء والبراءة أصل شرعي دلت عليه نصوص شرعية كثيرة[(١)].

وهنا يسود العدل والأمن، كما وقع من المسلمين لما فتحوا مشارق الأرض ومغاربها، وحكموا بين العباد بشريعة الله تعالى التي هي الحق والعدل والرحمة، وما نعمت كثير من شعوبهم بالعدل والرحمة إلا لما تفيأت ظلال الإسلام وحكمه، وكان كثير من أفرادهم يهربون من ظلم ملوكهم إلى عدل أهل الإسلام، وأمام المكذبين والمشككين في ذلك كمٌّ كبير من كتب التاريخ الشاهدة على ذلك.

وكل من قرأ نصوص الشرع عرف أن الإسلام قد أعطى كل ذي حق حقه، وأمر بالتعامل مع المخالفين كل بحسب فعله وجريرته من غير ظلم ولا بخس ولا تعدي.

فالمحاربون من الكفار والمنافقين لهم الحرب والقتال بما يدفع شرهم ويزيل خطرهم ويكسر شوكتهم، وأما المسالمون الذين يريدون الأمان وقد قبلوا بحكم أهل الإسلام فلهم الحماية والذمة والأمان، توفى لهم عهودهم، وتبذل لهم حقوقهم، لايَظلمون ولايُظلمون، مع الإحسان إليهم والبر بهم، وتأليفهم على الإسلام لعلهم يسلمون فيفلحون.

أما أهل النفاق فإن أظهر ردته عومل معاملة المرتد، وإن أخفى عومل معاملة المسلمين وكانت السرائر إلى العليم الخبير.

---

(١) انظر: الحوار بين الأديان حقيقته وأنواعه ص٢٥.

وهناك يكون التعايش الحق، فليس أهل الإسلام لا يألفون ولا يؤلفون، بل هم خير من يطبق هذا التعايش، لأجل خير البشرية ورحمتها وإقامة العدل فيها الذي أمر الله سبحانه به.

هذا بإجمال في التعامل مع غير المسلم وكيفية التعايش معه، أما عن حرية الأديان فليعلم أن الإسلام لا يكره أحداً على الدخول فيه، كما أنه لا يكره أحداً على ترك ما يدين به ويعتقده، قال تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ سورة البقرة آية:٢٥٦.

أي: لا تكرهوا أحدًا على الدخول في دين الإسلام، فإنه بيِّن واضح جلي بدلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحداً على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام، وشرح صدره، ونور بصيرته، دخل فيه على بيِّنة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره، فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرهاً مقسورًا[1].

وحينئذ فإن من دخل في هذا الدين بطوع رغبته دون أي إكراه، فعليه أن يذعن لنظام الإسلام ودولته.

وليس المقصود ما قد يفهمه بعض الناس من أن الآية تقرر الحرية المطلقة في الدين والتنقل بين الأديان، دون أن يترتب على ذلك أدنى تبعة، فإن هذا لم يقل به أحد من علماء الإسلام.

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٦٨٢.

فلإنسان قبل أن يؤمن بالإسلام له الحق في أن يؤمن أو يكفر، فإذا آثر أي ديانة من الديانات فلا اعتراض عليه، ويبقى له حق الحياة والأمن والعيش بسلام، وإذا آثر الإسلام ودخل فيه وآمن به، فعليه أن يخلص له ويتجاوب معه في أمره ونهيه وسائر هديه في أصوله وفروعه، وليس له الحق بأن يرتد عنه، فإن فعل وأظهر ذلك عومل معاملة المرتد(١).

ولا يفوتني أن أذكر بعد ذكري للصورة المشرقة عن ديننا الحنيف، وعدم إكراهه لأحد في الدخول فيه، ما يمارسه الغرب اليوم من إكراه الناس على دينهم، وما يمدون من يد مساعدة، إلا هي مشروطة بنكوص الناس عن دينهم ودخولهم فيما يعتقدون. ﴿**وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا**﴾ [البقرة آية:٢١٧].

وتاريخ الإسلام الطويل، شاهد على أن الشريعة وأهلها، قد كفلوا لأتباع الأديان الذين يعيشون في ظل الإسلام، البقاء على عقائدهم ودياناتهم، ولم يُرْغِمْ أحداً على اعتناق الإسلام.

ومعلوم أن هذا لم يكن موقف ضعف من دولة الإسلام، بل كان هذا هو مبدؤها حتى حين كانت في أوج قوتها أمة فتية قادرة، ولو أرادت أن تفرض

---

(١) حكم المرتد من المسائل التي كثر الحديث فيها سيما في وقتنا الحاضر إذ جملة من الكتاب المعاصرين انتقدوا هذا الحكم إما بتأويل أدلته أو تضعيفها، كل ذلك رغبة منهم في مواكبة الفكر الغربي أولاً، أو زعمهم أن قتل المرتد لا يتوافق مع حرية العقيدة والرأي ثانياً. وهذا كله مردود بثبوت هذا الحكم بالنص الصريح الصحيح المجمع عليه، الذي لا يصح فيه تأويل أو تضعيف. والتوسع في الرد عليهم وبيان بطلان قولهم وما استدلوا به توهماً منهم أنه دليل لقولهم، ليس هذا البحث من مواطنه.

على الأفراد عقيدتها بالقوة القاهرة لكان ذلك في مقدورها، لكنها لم تفعل؛ لأن دينها الحنيف غرس فيها معنى كرامة ابن آدم وحريته وحسن التعايش معه.

هذه بإيجاز نظرة الإسلام الوسطية إلى حرية الأديان،والفرق بينها وبين الممارسات المتعسفة التي كانت تتزعمها الكنيسة ضد مخالفيها عبر القرون واضح، وبين البيان العالمي لحقوق الإنسان وهو: «أن لكل شخص حقاً في حرية الفكر والوجدان والدين، ويشمل هذا الحق حريته في تغيير دينه، أو معتقده..». والذي يردد اليوم باسم حرية الأديان.

وقد يلحق بذلك الدعوة إلى تقريب الأديان وحوار أهلها والتي رسم لها الإسلام خطوطاً عريضة لا يصح تجاوزها، يوضح ذلك قوله تعالى:**﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ العنكبوت:٤٦، وقوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾** [آل عمران:٦٤].

- ينبغي أن تكون مجادلة أهل الكتاب، على بصيرة من المجادل، وضمن قاعدة مرضية، وأن لا يُجادلوا إلا بالتي هي أحسن، بحسن خلق ولطف ولين كلام، ودعوة إلى الحق وتحسينه، ورد عن الباطل وتهجينه، بأقرب طريق موصل لذلك، يكون القصد من ذلك كله بيان الحق وهداية الخلق له.

- أن يكون هذا الحوار منطلقاً من أصول وثوابت يتفق عليها الجميع، من الإيمان بما أنزل إلينا وأنزل إليهم، والإيمان برسولنا ورسولهم، وعلى أن الإله واحد، وهذه الأصول لا يُقبل التنازل عنها أو المداهنة فيها، فقوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ**....﴾ الآية، كان النبيﷺ يكتب بها إلى ملوك أهل الكتاب(١)، لاشتمالها على الدعوة إلى دين واحد، قد اتفق عليه الأنبياء والمرسلون، واحتوت على توحيد الإلهية المبني على عبادة الله وحده، لا شريك له، والانقياد والطاعة كلها لله ولرسله.

- كما ينبغي للمؤمن أن يكون قوياً صريحا مفتخراً بدينه، وإن خالفه الخلق أو لم يستجيبوا لدعوته، غير عابه بورود الشبهات على العقيدة الإيمانية معلناً إسلامه مجدداً إيمانه، إخباراً بيقينه وشكراً لنعمة ربه، ولعل هذا هو السبب في ختم الآيتين بإعلان الإسلام والتصريح به(٢).

- إن تصريح الآية بإسلام من آمن بذلك، لهو دليل على كفر من تولى وأعرض، مستحق لهذا الوصف لا يجامل في عدم وصفه به، أو البحث عن أوصاف أخرى لأجل إرضائه. قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [التغابن:٢].

---

(١) انظر: ما أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٧، و٤/ ١٦٥٧، ومسلم ٣/ ١٣٩٣، رقم: (١٧٧٣).
(٢) انظر: تفسير السعدي ص١٣٣، ٦٣٢، ٩٦٨.

النوع الثاني:

وهو ما في التعايش وحرية الأديان من الباطل ولأجله كثر طرحه اليوم، فلابد أن ندرك أن مصطلح التعايش وحرية الأديان قد تطور وتحول إلى دعوة فكرية في ظل عصر العولمة، لها امتداد عقدي يسعى بجد إلى نشر الإلحاد في بلاد الإسلام؛ وذلك بالسماح للمرتدين بإظهار ردتهم، والتمكين للمنصرين من نشر باطلهم في ديار الإسلام، ومن ثم القضاء على عقيدة الولاء والبراء، وأن الحق خفي، وأن الأديان قد فرقت البشر، ولا يجمعها إلا قبول أهل الحق بالباطل زعموا، بل إخضاع الحق لباطلهم وإلحادهم، وكل هذا يجري ترويجه في هذا العصر الذي خُلطت فيه الأوراق وتغيرت فيه المسميات باسم التعايش وحرية الأديان.

وبمثل هذا الطرح محاولة العولمة أن تقدم للعالم كيفية اندماج الكفار مع المسلمين، مع احتفاظهم بكفرهم.

وإذا كان ما تقدم أحد جوانب الدعوة إلى حرية الأديان والتعايش بين الشعوب، فإن الجانب الآخر منها هو استدعاء النموذج الديمقراطي الغربي وتصديره لبلاد المسلمين، والتبشير به والدعوة إليه، بل الضغط لإقراره، ولا شك أن مرادهم من هذه الديمقراطية المزعومة الإضرار بأمة الإسلام لا مصلحتها، يدرك ذلك من كان له أدنى عقل، وربنا جل وعلا أحكم الحاكمين وهو العليم الخبير أخبرنا بذلك في أكثر من موضع في كتابه قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا**

وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

والواقع خير شاهد إذ إن المُصدَّر من هذه الديمقراطية يناقض الاعتقاد ويجعل التشريع بيد البشر، إضافة إلى تصدير الخلاف والتمزق لأمة الإسلام[١].

المطلب الثالث : مصداقية الدعوة للتعايش وحرية الأديان:

إضافة لما سبق فإنه عند النظر بإنصاف وتمعن، نجد أن دوامة التعايش وما يثار حولها من تقارب الأديان وحرية التدين، كله يصب في مصالح غربية، سواء مصالح اقتصادية يأمنون فيها على مصالحهم في ديارنا، أو مصالح ثقافية دينية، ينشط فيها التنصير والدعوة إليه.

ذلك التعايش الذي يكيل بمكيالين فإن كان لأهل الباطل مكنوا من نشر باطلهم، والمحافظة على ما اغتصبوه من بلاد المسلمين وحقوقهم، وإن كان لأهل الحق منعوا وأوذوا بزعم أن هذا ينافي التعايش أو الحرية الدينية أو الديمقراطية.

فالتعايش الموجود عند النصارى الذي يرمي إلى تنصير العالم، فهم في ذلك الوقت الذي يرفعون فيه أصواتهم للتعايش والحوار بين الأديان، يخطط على أعلى مستوى لمحاربة الإسلام بصفة خاصة، ويتزامن هذا التخطيط المناوئ للإسلام مع ممارسة أرقى ضروب التسامح مع اليهود، ولهذا لا بد من أن نفهم أن النصارى أنفسهم لا يؤمنون بالتعايش أو

(١) انظر: تجديد الخطاب الديني ص٧٧-٨٦.

بالحوار، وهم إذا نادوا بهما أو دعوا إليهما قصدوا بذلك استغلالهما لغرض الهيمنة الدينية، التي لا تكاد تختلف عن الهيمنة السياسية والاقتصادية.

إن مما يحز بالنفس أن يتلقف مثل هذه الدعوات أبناء الأمة ويظنون أن بها الخلاص، فيثقون بها ويتمسكون وينافحون عنها ويدعون لها، ثم تأتيهم الصدمات القوية من تلك الدول الزاعمة للتعايش من قتل وتشريد وتدمير بوحشية وهمجية بالغة لديار الإسلام، فمنهم من يفيق، ومنهم من يبحث عن المبررات لهم لتلك الوحشية ويستمرون في غيهم يعمهون، دول تدعو إلى التعايش وهي جادة كل الجد في إنتاج الأسلحة المدمرة، وافتعال الحروب الطاحنة، وزيادة ميزانيات التسلح، وإجراء التجارب النووية، والسعي الجاد في نزع أسلحة المسلمين ومراقبتها الشديدة، فهل بإمكان دول الغرب إيقاف هذا العداء الواضح، ووضع معايير عادلة للتعامل الاقتصادي فلا يسلبوا خيرات الأمة الإسلامية التي يدعي الغرب صداقتها، وحرصه على ضمان مصالحه فيها، والتعايش معها.

أما في الإعلام فتسيطر على المجتمعات الغربية مؤسسات ظاهرة وخفية تتولى الإعلام بكافة أشكاله، وهي تحمل في تلك الرسائل عداءً للإسلام وأهله، بل كل جرم في الأرض المتهم به في وسائل إعلامهم المسلمون، فهل بإمكانها أن تتحدث عن المسيحية بما تشاء، وتترك الإساءة للإسلام وشعوبه، لا بد أن يدرك الجميع أن لدى أمة الإسلام ثوابت عقدية تمنعها من الانصهار أو التنازل عما لها من كرامة وعزة، فهم -كما سبق- يكرمون من يعاملون، ويعاملونه بحق الله فيه من العدل والأمانة وحفظ العهد، ولا

يرضون أن يعيشوا تحت شعارات براقة كالتعايش وحرية الأديان، لكن في واقعها الذل والهوان وطمس الهوية واغتصاب الحقوق.

فما تمليه علينا وسائل الإعلام سيما في ظل زمن العولمة البغيضة، التي أرادت أن تطرح هذا الفكر إعلامياً، وكذلك فكرياً، من أهلها أولاً، أو المتأثرين بها من بني جلدتنا ثانياً، غير من يتكلم في الأمر عن حسن نية، لا يعلم أن مراد القوم جعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً وربنا يقول:﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ النساء:١٤١.

المطلب الرابع : المعالم الرئيسة لدعوة التعايش وحرية الأديان:

- إعادة قراءة الأحكام الشرعية المتعلقة بعلاقة المسلم بالكافر، وإلغاء الفروق بينهما، وفي ظل هذا التعايش والحرية الدينية لا معنى للحديث عن مسائل مثل: الولاء والبراء، وأهل الذمة، ودار الكفر ودار الإسلام، وكل العلم العقدي والفقهي القائم على تقسيم بني الإنسان كافراً ومؤمناً، ولأجل هذا طرحت العولمة اليوم وبقوة مصطلحاً جديداً يراد أن يحل محل الكفر أو الكافر، وهو «الآخر» ولفظ الآخر لا يتعلق به مدح ولا ذم، ولا حب ولا بغض، ولا يترتب عليه أحكام الموالاة أو المعاداة[1].

---

(١) قد كان من قبل يستخدم لفظ "الحفاظ على الوحدة الوطنية" للقيام بهذا الدور لكن هذا اللفظ لم يعد -بعد الانفتاح العريض على العالم بفعل التقدم الهائل في تقنية الاتصالات، وانتشار فكر العولمة- كافياً في تحقيق الغرض إذ إنه لفظ من مخلفات حقبة ما قبل العولمة، ف لفظ الآخر يشمل كل كافر ولو لم يكن في حدود الوطن المسلم.

ويتبع ذلك كفُّ أقلام المسلمين وألسنتهم عن تكفير من كفَّرهم الله تعالى ورسوله ﷺ، إن لم يُؤمنوا بدين أهل الإسلام.

- تبنِّي مفهوم المواطنة وهو الانتماء إلى تراب تحده حدود جغرافية، وهذا يذيب الفوارق بين الناس في المجتمع الإسلامي ويفرض المساواة التامة بينهم بصرف النظر عن العقيدة والدين، كما أنه يلغي كثيراً مما يجب على أهل الإسلام من مناصحة أهل الكفر والبدع وتوجيههم إلى الحق.

- تعظيم أئمة الاعتزال والمبتدعة، وبعض الفلاسفة المارقين عن الدين، والمفكرين الضالين، الداعين إلى تمجيد الغرب واقتفاء آثارهم، وتصويرهم بصورة المُتحرِّرين والإصلاحيين، في مقابل الحطِّ من بعض أئمة السنة، ونبزهم بألقاب السوء.

- إسقاط جوهر الإسلام، واستعلائه، وظهوره وتميزه، بجعل دين الإسلام المحكم المحفوظ من التحريف والتبديل، في مرتبة متساوية مع غيره من كل دين محرَّف منسوخ، بل مع العقائد الوثنية الأخرى.

وتفرَّع عن ذلك الدعوة إلى بناء مسجد وكنيسة ومعبد في مُحيط واحد، والدعوة إلى طباعة القرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل في غلاف واحد، إذ لا فرق بينها في نظر أصحاب هذه الدعوة الباطلة.

- السماح للكفار بإقامة شعائر دينهم في أرض الجزيرة العربية خاصة، وفي بلاد المسلمين عامة، والسماح ببناء معابدهم، والقول بحرية التدين وإنكار حد الردة في الإسلام باعتباره معارضاً لحرية اختيار الإنسان للدين

الذي يقتنع به، وجعل القاسم المشترك بين كل الأديان البيان العالمي لحقوق الإنسان[1].

- المساواة التامة بين "المواطنين" في الحقوق والواجبات: وعندهم أن هذه نتيجة بديهية تلقائية لمفهوم المواطنة القائم على أساس الرابطة الجغرافية، فلا فرق حينئذ بين المسلم والنصراني واليهودي والدرزي والمجوسي..، والكل له الحق في إظهار آرائه وأفكاره وعقائده وشعائره، والإعلان عنها والترويج لها بشتى الوسائل الممكنة، وغير ذلك مما تدعو إليه المساواة.

- ثمَّ الغاية من هذا كله بسطُ جَنَاح الكفرة من اليهود والنصارى، والشيوعيين، والبعثيين، والمنافقين، وأهل البدع على أهل الإسلام[2].

المطلب الخامس: نقد الدعوة للتعايش وحرية الأديان:

وهذه الدعوة كل مسعاها دمج المسلم بالكافر وإلغاء الفروق بينهما وأن المرء يختار ما يشاء من دين ومعتقد، فاختيار الإسلام كاختيار النصرانية كمن يبقى بلا دين إذ هي حرية شخصية، كما أن له الحرية في التنقل من دين لآخر، وأن هذه الأديان لا يصح وصف أحدها بأنه الحق وما سواه باطل، كل ذلك صدِّر لبلاد الإسلام لأجل تكميم أفواه أهل الحق وتوهين الحق

---

(١) وقد تقدم بيان هذا البيان ص ٤٦.

(٢) انظر: فيما تقدم تجديد الخطاب الديني ص٧٧-٨٦، والحوار بين الأديان حقيقته وأنواعه ص٢٨، والمفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام ٢/ ٦٦.

وإضعافه، مع السعي الجاد لنشر الإلحاد، واستمراء الباطل وتقبله باسم التعايش وحرية الأديان.

وهذه الدعوة ظاهر بطلانها ومخالفتها لأصول الدين؛ فإن من أصول الاعتقاد في الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة، والتي أجمع عليها المسلمون: أنه لا يوجد على وجه الأرض دين حقٌّ سوى دين الإسلام، وأنه خاتمة الأديان والملل والشرائع، فلم يَبْقَ على وجه الأرض دينٌ يُتعبَّد الله به سوى الإسلام، وأن نبيناﷺ خاتم الأنبياء، قد بعث للناس كافة، وقرآننا ناسخٌ لكلِّ الكتب ومهيمنٌ عليها. قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [آل عمران: ٨٥]، وثبت في الصحيح أنَّ النبيﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ، ثم يموت ولَمْ يُؤمن بالذي أُرسلتُ به إلاَّ كان من أهل النار»(١).

فيجب اعتقاد كفر كل من لم يدخل في الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم، وتسميته كافراً ممن قامت عليه الحجة، وأنه عدو لله ورسوله والمؤمنين، وأنه من أهل النار.

وأمام هذه الأصول الاعتقادية، والحقائق الشرعية، فإنَّ الدعوة إلى حرية الأديان والتعايش معها، وصهرها في قالب واحد، دعوة باطلة ماكرة، الغرض منها خلط الحقِّ بالباطل، وهدم الإسلام، وتقويض دعائمه، وجرُّ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٣٤، رقم (١٥٣)، وأحمد في مسنده ٢/ ٣١٧، ومحقق ١٣/ ٥٢٣، والطيالسي في مسنده ١/ ٤١٠.

أهله إلى ردَّةٍ شاملة، ومصداق ذلك في قول الله سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة آية:٢١٧].

وبناءً على ذلك فلا يصح اعتقاد صحة هذه الدعوة، فضلاً عن الدعوة إليها؛ إذ إنها تصطدم مع أصول الاعتقاد، فترضى بالكفر بالله عزَّ وجل، وتُبطل صدق القرآن، ونسخه لجميع ما قبله من الكتب، وتُبطل نسخ الإسلام لجميع ما قبله من الشرائع والأديان، فهي دعوة مرفوضة شرعاً، مُحُرَّمةٌ قطعاً بجميع أدلَّة التشريع في الإسلام، من قرآن وسنة وإجماع(١).

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة ١٢/ ٢٧٥، والفرقان في بيان حقيقة التقارب والتسامح بين الفرق والأديان ص٨، وحوار الأديان ص٢٧.

المبحث الثالث:

أثر العولمة في التقليد (التشبه):

إن الحديث عن العولمة والتقليد لن يكون بمجرد التقليد الجسدي والتشبه الخلقي في الزي واللباس والأخلاق الظاهرة فحسب، بل هناك ما هو أعمق من هذا، إذ إن العولمة لها آثارها السياسية والاقتصادية والثقافية الفكرية، والمغلوب مولع بتقليد الغالب والتشبه به فالتقليد هو المكون الرئيس للانتقال الثقافي والأخلاقي، كما قال ابن خلدون: «إن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده، والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال في من غلبها»[1]، فالأضعف من الأمم هو الذي يقلد النتاج الثقافي والحضاري للأقوى، سيما أن دول الغرب الحاضنة لتلك العولمة جاهدة في تصديرها إلى بلد المغلوب وهو ديار الإسلام.

إن التقليد الثقافي والفكري لاشك أن له الأثر الكبير، لكن ذلك لا ينسينا ذلك التقليد الاجتماعي الكبير، سواء في طرق التواصل والعيش والأسرة والمجتمع، أو طرق الاستهلاك والرفاهية المادية، والخطب أعم إذا أصبحت حياة الناس قائمة على النفعية وأن الغاية تبرر الوسيلة، وقيمة الإنسان تقاس بما يملك ويستهلك.

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص١٩٦.

فالعولمة في سنواتها الأخيرة ركزت تركيزاً كبيراً على إذابة الهويات في العالم، ولاسيما الهوية الإسلامية من خلال ماتبثه لأجل تعليم أمتنا وتثقيف شبابنا، لذلك كان من الواجب فهم هذه العولمة وأطروحاتها الاجتماعية والثقافية، ومحاولة استيعابها وتوضيح مبادئها وطرح النهج الإسلامي وتعريفه للناس، وكيف يكون هو التعامل الحق الذي يتعاملون به في مجتمعاتهم وسائر أنواع الحياة.

إن الزمن الحاضر ترى فيه أقوى غلبة التشبه بالغرب بل والحرص عليه والاجتهاد لنيله، فكم يتسابق أبناء أمتنا لكي يقربوا من الغرب الكافر ويتشبهوا به، كما أن المجتمع يرى ذلك المُتشبه هو صاحب الحضارة والتقدم والثقافة والرقي، كل هذا وغيره سببه ضعف الإيمان، وانطفاء نور الحق في القلوب، والابتعاد عن هدي الوحيين، حتى أصبح المعروف عند الناس منكراً والمنكر معروفاً.

قد يكون في السابق من يقع في شراك التقليد والتشبه بالغرب والانبهار بحضارتهم هو من زارهم في ديارهم وتعلم عندهم، وهذا وقع فيه أول زمرة رحلت للغرب وتعلمت فيه، إذ جاءوا لبلادهم بأفكار وآراء غربية ضالة بسبب ذلك الانبهار بتلك الحضارة، فما استطاعوا تحمل الصدمة الحضارية، أما اليوم وفي ظل عصر العولمة فلا صدمة حضارية إذ ما يكون في الغرب ويفعله في الصباح نراه ونشاهده في المساء، وهذا التسهيل في مشاهدة ما يفعله الغرب وما يقوله، جعل أمة الإسلام مع الأسف تتسابق على تقليده والتشبه به، لا بغضه والفرار منه إذ ارتسم في النفوس والعقول

أن الغرب هم أصحاب المعرفة والفكر والثقافة والإبداع في كل نواحي الحياة، ونحن السابق فينا من يسبق إلى تقليدهم ويتقن ذلك التقليد.

المطلب الأول : آثار التقليد في عصر العولمة:

ولهذا التقليد آثار خطرة على أمة الإسلام في جميع أبواب الدين بعامة، وفي أبواب الاعتقاد بخاصة، ولذلك ترى النصوص الشرعية الكثيرة المحذرة من التقليد والتشبه بغير المسلمين حتى في أدق التفاصيل، ومن أهم هذه الآثار:

- أن الناظر في البدع عموماً، وفي الفكرية العقدية خصوصاً، كالتغريب والعصرنة وتجديد الخطاب الديني... وغيرها من آراء وأفكار ضالة، يجد عند التأمل أن سببها الأساسي هو التقليد والاستمداد من مناهج وأعمال الغرب الكافر، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «إن من أصل دروس[1] دين الله وشرائعه، وظهور الكفر والمعاصي، التشبه بالكافرين، كما أن من أصل كل خير المحافظة على سنن الأنبياء وشرائعهم»[2].

- أن التشبه بالكفار يورث ضعف الإيمان، ومحاولة التفلُّت من نصوص الشرع الناهية عن التشبه بهم، هذا إن فقه الشرع ونصوصه وإلا فإن الغالب على من يقلد أولئك قد اندرس الشرع في نفوسهم.

---

(١) دَرَسَ الشيءُ والرَّسْمُ يَدْرُسُ دُرُوساً عفا واندثر ولم يبق له أَثَرٌ، يقال: مَحَّ الكتابُ وأَمَحَّ : أي دَرَسَ، وعَفا الأَثَرُ: دَرس وامَّحَى. انظر: النهاية في غريب الأثر٣/ ٥٢٤، ولسان العرب ٦/ ٧٩، والمصباح المنير١/ ١٩٢.

(٢) اقتضاء الصراط ص١١٦.

- ابتعاد المرء عن دينه ومكمن عزه، إذ إن المتشبه هدفه الأساس ملاحقة الغرب الكافر وجديده، وهذا يورثه عدم استحضار جوانب العزة والقدوة الإسلامية، بل حتى إغفال الحضارة الإسلامية ومقتها.

- كما أن المقلد والمتشبه يغفل أو يتغافل عن الثغرات في تلك الحضارة الغربية الزائفة، فلا يبدي الجانب المظلم منها من بؤس أخلاقي واقتصادي واجتماعي، بل يدافع عن ذلك ويفاخر بتلك الحضارة، وهذا ليس مستغربا على من تشبه بالقوم وحرص على اقتفاء آثارهم، ونسى دينه وحضارته.

- كما يقود التشبه بالكفار إلى المودة والموالاة لهم، ذلك أن التقليد بمختلف صوره يقود إلى محبة المقلَّد وموالاته، شاء المقلِّد ذلك أم أبى. قال سبحانه: ﴿**لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْأِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ**﴾ [سورة المجادلة آية:٢٢].

فأخبر سبحانه وتعالى أنه لا يوجد مؤمن يواد كافراً، فمن واد الكفار فليس بمؤمن، فالمشابهة الظاهرة مظنة المودة فتكون محرمة، كما أنها تقود إلى الموافقة الباطنة.

ذلك أن المحاكاة في الظاهر تؤدي إلى المحاكاة في الباطن ولو بعد حين، فالتقليد صلة روحية بين المقلِّد والمقلَّد، ووساطة انتقال لمعتقداته وأفكاره،

وكلما كان القلب أتم حياة وأعرف بالإسلام كان إحساسه بمفارقة اليهود والنصارى باطناً أو ظاهراً أتم والعكس بالعكس[(١)].

هذه بعض آثار التشبه والتقليد والتي تُصدرها لنا العولمة عن الغرب المحارب للعقائد والقيم والأخلاق، إذ العولمة المهيمنة هي القيم الغربية التي حطمت الدين، واستبدلته بقيم مطبقة في مجتمعاتها يمليها عليها النظام وتطبق بقوته، فحقيقة هذا التشبه والتقليد محو بطيء لعاداتنا وتقاليدنا التي أقرها الإسلام، فهي محو للتواصل بين الأسر والتكافل الاجتماعي والتعاضد الأخوي، وترسيخ عادات دخيلة لا تمت لنا بصلة هذا في مجال الأسرة، أما على الأطفال فحدث ولا حرج، وقد لا يرى ذلك كثير من الناس، إذ هي تنخر في المجتمع بخفية لا يراها إلا صاحب الوعي والثبات.

أضف إلى ذلك القوانين والمبادئ والتشريعات الدولية باسم العولمة، والتي تهدف في باطنها إلى تفتيت الأسرة الإسلامية وإضعافها في كل المجالات، وذلك تارة باسم حقوق المرأة، وأخرى باسم حقوق الطفل.

مع ما نشعر به من الحرص من أبناء أمتنا على مواكبة الثقافة الغربية فى الملبس، والمعيشة، والاهتمام بالمظهر الخارجي، ونسيان الجوهر من تربية النفس، والسعي على إكمال فضائلها.

ساعد على هذا الانتشار للتقليد والتشبه في عصر العولمة ما تقدم من ضعف العالم الإسلامي وهزيمته أمام الغرب، وانبهاره بحضارته،

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط ص٢٢٢، ومظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث وأثرها على المسلمين١/ ٧٤-٧٥، ١٠٧-١٠٩، والعوامل المسببة للانحراف الفكري ص٢١٦.

فالمغلوب مولع بتقليد الغالب، كذلك المنظومة الإعلامية الهائلة في عصر العولمة، والتي من أولى أولوياتها أن تعلِّم وترسخ القيم والمفاهيم والمعتقدات وأنماط السلوك الغربي على الآخرين بعامة وعلى المسلمين بخاصة[1].

المطلب الثاني : أهم الوسائل والسبل المعينة على مواجهة هذه العولمة:

إن كانت هذه آثار العولمة بسبب التقليد والتشبه وما حولنا من تقنية وعولمة في هذا الزمن كله داعي لاقتفاء آثار الغرب؛ لأجل صد أمة الإسلام عن الحق وإتباعها أمة الباطل، وإخراج الناس عن عقيدتهم، وبهر الناس وخداعهم بما هم فيه من حضارة، كل ذلك يُصدر لأمة الإسلام بثوب

---

(١) هناك الدراسات الكثيرة التي تبين معاناة شعوب شرقية ليست إسلامية، وسائرة في الفلك الغربي، كاليابان وكوريا الجنوبية من العولمة، وعملت دراسات ميدانية لمعرفة تأثير المواد التلفزيونية الأمريكية على الشباب الكوري الجنوبي ومن نتائج هذه الدراسة أن هذه المواد أدت إلى تأثير بالغ على القيم التقليدية الكورية، فأصبحت الفتيات الكوريات أكثر تحرراً من القيم الأسرية والأخلاقية، ويعتقدن أنه لا حرج من الممارسة الجنسية خارج الزواج، وأن ذلك من قبيل الحرية الجنسية. وقل مثل ذلك في الفلبين.. وغيرها بل إن هناك دراسة في استراليا وهي بلد غربي نصراني يتحدث الإنجليزية أي مشارك للولايات المتحدة في الهوية تقريباً يشكو من مواد التلفزة الأمريكية على الأطفال، لأنها تؤدي إلى فقدان الانتماء، وإلى أزمة أخلاقية وغربة ثقافية، ومثل ذلك في كندا وهذه الأمثلة توفرها مئات الدراسات في أنحاء العالم من المثقفين الخائفين على هوية شعوبهم من العولمة الغربية عامة والأمريكية خاصة، ألا يحق لنا نحن المسلمين الذين نحمل أعظم عقيدة، وخير ثقافة، وأعظم تاريخ بالإضافة إلى القيم الحضارية العالية أن نخشى على تلك الجواهر من أثر العولمة على أمتنا؟. وانظر في بيان أن القيم الغربية غير مؤهلة لتعميمها على العالم: العالم الإسلامي وتحديات العولمة ص٣٧-٤٠.

قشيب يسر الناظرين، ظاهره فيه الخير والرحمة، وباطنه فيه الفساد والعذاب، والناس مع ذلك كله يهرعون إلى تقليدهم والتشبه بهم حتى في أدق الأمور، وصدقﷺ ((**لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى قَالَ فَمَنْ**))[1].

إن كان ذلك كله ألا يوجد ما يعصم المسلم من هذا التقليد والتشبه، ومن ثم بقائه متمسكاً بدينه ماقتاً لما تدعو له العولمة من ضلال؟.

نعم هناك ثمة وسائل وسبل تعين الأمة فرداً وجماعات بعد عون الله سبحانه على الحفاظ على دينها وعقيدتها من آثار العولمة عموماً، وفي أثر التشبه بالكفار خصوصاً:

- العودة إلى الإسلام، وتربية الأمة عليه بعقيدتـه القائمة على توحيد الله سبحانه، والتي تجعل المسلم في عزة معنوية عالية ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [المنافقون آية: ٨]. وبشريعته السمحة، وأخلاقه وقيمه الروحية، وتقوية الصلة بالله سبحانه وتعالى، واليقين بنصره وتمكينه للمؤمنين إذا استجابوا لربهم وقاموا بأسباب النصر، فالهزيمة الحقيقية هي الهزيمة النفسية من الداخل حيث يتشرب المنهزم كل ما يأتيه من المنتصر، أما إذا أعتز المرء بدينه وقيمه ولم يستسلم من داخله فإنه يستعصي حينئذ ولا يقبل الذوبان.

---

(١) سبق تخريجه: ص٣٤٤.

- العناية بكل ماله صلة لصيقة بديننا كاللغة العربية مثلاً والحرص على تعليمها للنشء وتحبيبهم فيها، وتفعيل التعريب والترجمة، والتقليص من التعلق باللغات الأخرى إلا في حدود الحاجة اللازمة، والحرص على إكثار القراءة لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وبيان معانيهما وإيضاح موقفهما من أهل الكفر والتشبه بهم.

- إبراز إيجابيات الإسلام وعالميته وعدالته وحضارته وثقافته وتاريخه للمسلمين قبل غيرهم، ليستلهموا أمجادهم ويعتزوا بدينهم، فإذا رأى العالم ذلك عرف أنه يمكن أن يتقدم الإنسان علمياً وتكنولوجياً واقتصادياً وحربياً وسياسياً وهو محافظ على إنسانيته، مترفع عن الدنايا، متطهر من الرجس، قائم بالقسط، **﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾** [الحديد:٢٥].

- رفع مستوى الأمة التعليمي والتقني إذ إن هذا مما يرفع همَّة من تمسك بدينه، كما أنه يغنيه عن البحث عن ذلك عند غير أمته ، وهذا يستوجب توافر الجهود من حكومات وشعوب، واتحاد الرؤى ونبذ الخلاف، وبذل ما يستطاع للعلو بالأمة ورفعتها حتى تكون هي المتبوعة لا التابعة.

- فهم هذه العولمة، وعدم التخفي عنها أو تجاهلها، ودراسة سلبياتها وإيجابياتها برؤية إسلامية منصفة، والسعي الجاد لمحاربة شرها وحفظ الأمة منه، كما يواكب ذلك البحث عن كيفية الاستفادة منها، فإذا لم يكن لنا يد في صناعة الحدث فلا أقل من أن نستفيد منه.

- رفع مستوى الإعلام في الأمة فيكون همه الأول المحافظة على ثقافة الأمة وعقيدتها، ونشره تبليغاً للحق وحرصاً على هداية الخلق، فالأمة بحاجة إلى إعلام يقودها يصدر من أصولها وثقافتها ويعالج قضاياها ومشاكلها، ويعرف تلك الثقافات العالمية بما لنا من عقيدة وتقاليد وقيم اجتماعية عريقة.

- قيام العلماء والتربويين بواجب النصح والتوجيه وتحذير الأمة من أخطار العولمة وما تمليه وتصدره لأمة الإسلام من منكرات وشبهات علمية واعتقادية، وتأصيل الأصول العقدية والأخلاقية للنشء، وتربيته على ثقافة التقويم لما يأتيه، ليس مجرد التسليم والتقليد، إذ بذلك يُكفل بإذن الله تحصين الأمة ضد ثقافة التغريب.

وعلينا تجاه أولئك العلماء والتربويين، وكل من يقوم بواجب التوجيه والنصح والمحافظة على عقيدة الأمة وثوابتها من مؤسسات وأفراد، التشجيع والدعم حتى تؤتي تلك الجهود ثمارها.

هذه بعض الوسائل والسبل التي تعين على مواجهة العولمة، التي إن فرضت علينا واقعاً ليس من اختيارنا، لكنها لا تستطيع منعنا من العمل والاستفادة منها والتغلب على شرورها.

وعلى كل حال فإنه متى كنا مقاومين فاعلين قائمين بما أمرنا الله به، فإننا موقنون ليس بحماية عقيدتنا فحسب، بل حتى في التأثير على غيرنا بنفس وسائل العولمة، التي من الممكن تسخيرها لخدمة البشرية عبر نشر الدين الإسلامي، فأمتنا تملك خير رسالة وأعظمها وأنفعها للبشرية، إنها تملك

الوحي الإلهي المعصوم، الذي ينظم العلاقة بين العباد وخالقهم، وبين العباد فيما بينهم، وثقافتنا وهويتنا قابلة للنمو والاعتناء أكثر من الإذابة والتبعية، بل إن الإسلام بعقائده الفطرية وشريعته العادلة هو أكثر المستفيدين من العولمة إذا تساوت الفرص وخدمة أبنائه، إذ ديننا مؤهل أن يقود العالم لما فيه سعادته في الدنيا والآخرة.

فعلى المسلم اليوم أن يجدد رسالته نحو العولمة ويبني موقفه على الفهم الصحيح للإسلام، ويستفيد من التقنية في هذا العصر للرقي بالأمة، والتعريف بالدين الحنيف، ونشر حقائقه، والرد على الشبهات المثارة حوله، فتلك الوسائل فرصة مفتوحة لبيان الحق وكشف زيف الباطل، ﴿**وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [يوسف آية:٢١].

الخاتمة:

الحمد لله على التمام، والصلاة والسلام على من بلغ البلاغ التام، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

بعد هذا التطواف في ثنايا هذا البحث الذي أتيت فيه على أهم عناصر هذا الموضوع، يظهر للمتأمل بجلاء أهمية هذا الموضوع وأنه جدير بالبحث والدراسة، إذ حياة المسلم اليوم وفي كافة مجالاتها لها تأثر بالعولمة، ويعظم هذا الأثر ويشتدّ إذا خالط أفكارنا ومعتقداتنا، ومتى عرف المسلم هذا الخطر واجتهد في تحصين نفسه منه بترسيخ عقيدته وثباته على الحق، وعرف مكمن الاستفادة من هذا الطوفان الجارف الذي متى استعمل بحق وصدق وانضباط، آتى ثماراً يانعة، وعرَّف العالم بأمة الإسلام الحق ونقلها من التأخر إلى التقدم حتى تكون لها الريادة على العالم أجمع كما كانت من قبل.

ولعلي في ختام هذا البحث أشير إلى أهم النتائج والأفكار التي وردت نصاً، أو ضمناً في ثنايا هذا البحث:

- بيان معنى التجديد وإيضاح معنى الالتباس الوارد في هذا المصطلح، وبيان أقسام الناس في استعماله ومضمونه.

- الناس على أصنافهم ينجذبون للتجديد والجديد، دون أن يملكوا القدرة على فحصه واتخاذ موقفٍ راشدٍ منه.

- أن أولئك الذين ينادون بالتجديد على أنه التغيير والتبديل لمحتوى الخطاب الديني، كان السبب الرئيس الداعي لهم لذلك هو السعي وراء حضارة الغربي وثقافته، فكان تحريف الدين باسم التجديد لمواكبة العصر والاقتراب من الآخر زعموا.

- نستطيع القول إن هذا التجديد للخطاب الديني لم يكن مفاجئاً أو جاء محض الصدفة، بل إن ما مر به تاريخ الأهواء الفكرية المعاصرة من تغريب، أو عصرنة عقلانية، أو ليبرالية، أو علمانية، أو تنوير كل تلك الأهواء كانت منطلقاً لما شاع وكثر سماعه من تجديد الخطاب الديني، وهذا ينعكس بالطبع على القائلين به فمنهم الليبرالي، والعلماني، والتغريبي، والعقلاني الزاعمون التجديد.

- لتحقيق هذا التجديد المزعوم استعمل الغرب جميع القوى الظاهرة والخفية لتحقيقه، فالظاهرة مثل شن الحروب على الإسلام وأهله، والخفية التي هي أقوى وأنجح من القوى الظاهرة والتي هي محتوى ما تنشره العولمة في العصر الحاضر.

- استعمل أولئك المجددون أو الداعون له من داخل بلاد الإسلام أو خارجها عدة وسائل لنشره في زمن العولمة، كان أهمها: التعليم، والإعلام، والمنظمات الدولية الكبرى.

- نستطيع القول إن تقديس العقل في مقابل التهوين من شأن النص سواء بزعم تطبيق روح النص ومضمونه لا حقيقته، أو دعوى تعدد قراءة

النص الواحد، وأن لكل أحدٍ أن يفسره كيف شاء، هي من أهم المعالم الرئيسة لفكر التجديد.

- الاستمرار في الانفراد في قيادة العالم، والاستيلاء على خيراته، وإيقاف مقاومة العولمة الساعية إلى أن يتمثل الناس ثقافة الغرب وحضارته، وتعدُّ هذه وغيرها أهم دوافع الغرب وأهدافه لتجديد الخطاب الديني.

- أما الدعوة إلى الحرية بمفهومها المنحرف، وتمييع الدين وتفريغه من معانيه الأصلية، وتطويعه لملاءمة مراد الغرب، ونقد الثوابت والتشكيك فيها ..وغيرها، فيعتبر أهم أهداف دعاة التجديد من الداخل.

- نتج عن هذه الدعوة آثار خطيرة كان أهمها: التشكيك في العقيدة الصحيحة وزعزعة الثقة بها، وإحياء التراث الفلسفي والمعتزلي وتقريبه للناس في قالب جميل مزخرف، والهزيمة النفسية سواءً بإلغاء بعض الأحكام المتعلقة بموقف المسلم من الكافر و تمييعها ونشر ثقافة تقبل الآخر، أو التكرار على طرح فكرة مفادها أن أمة الإسلام لا يمكن أن تتقدم أبداً إلا إذا سعت جاهدة لاقتفاء آثار الغرب الكافر.

- أن تأويل الإسلام إلى درجة جعله يتوافق مع معظم ما يقوله الآخرون، والهرولة لإثبات المرونة والرغبة في الاقتراب من الغرب، يجعل الدفاع عن الإسلام لا معنى له، كما أنه يقتلع مصداقيتنا من جذورها، ويفقد النصوص أصالتها وثباتها.

- قد يزعم المجددون أنهم خير من يدافع عن أوطانهم بهذا الفكر التجديدي، لكن الحق أنهم هم من ينشرون الفرقة والخلاف في أمة الإسلام.

- علينا السعي الجاد للاستفادة من هذه العولمة لنشر مبادئ الإسلام، وتبيين أنه دين العدل، وأن ذلك الغرب الكافر ليس أنموذجا للعدل والإحسان والتمسك بالمبادئ.

- شيء جوهري أن نفرق بين ما نحن في حاجة إليه من علوم الغرب ونظمه، وبين التبعية السياسية والإعلامية والاقتصادية والثقافية التي تقوض بنيان الأمة.

- لا يمنع أن نشق الطرق الجديدة التي تحقق للأمة الخير والصلاح، مادام ذلك لا يتناقض مع الثوابت والأصول.

- أن هويتنا وعقيدتنا الحقة هي ما نمارسه في حياتنا العملية، وينطبع على أفكارنا وآرائنا التي نتبناها.

- أن أحسن ما يلوذ به المرء عند كثرة الفتن والشهوات والشبهات - بعد الله سبحانه وتعالى- عقيدةٌ مبنية على أساس قويم.

- على المرء الاجتهاد والاحتساب في دعوة أولئك المخالفين، وإيضاح الحق لهم وللأمة، وإظهار تناقضهم والرد عليهم، وعلى رجال العلم والمفكرين والأقسام العلمية المتخصصة في الجامعات المسؤولية الكبرى تجاه ذلك.

- حضارة الغرب تبدو في نظر الأمم النامية في مظهر الملهم والمنقذ من ويلات التخلف، لكن عند السبر لأغوارها يُعرف أنها داعية للتخلف[1].

- بيان مفهوم دعوة التعايش وحرية الأديان، وأقسام الناس فيه.

- أن هذا التعايش والإحسان والتسامح الإنساني الذي جعله الإسلام أساساً راسخاً لعلاقة المسلم مع غير المسلم لا يفهم أنه انفلات، أو استعداد للذوبان في أي كيان من الكيانات التي لا تتفق مع جوهر هذا الدين.

- أن البغض والعداوة للكفار لا تعني ظلمهم، ولا تعني بخس حقوقهم، ولا تعني عدم الإحسان إليهم، ولا تعني نقض عهودهم، ولا تعني غشهم أو خيانتهم أو الغدر بهم، فهذا هو الفهم الخاطئ لعقيدة الولاء والبراء.

- مهاجمة مظاهر الولاء و البراء الشرعية الصحيحة، ومحاولة تذويبها بإشاعة عادات الكفار وتقاليدهم بين المسلمين، فإن نصوص الكتاب والسنة شرعت لنا أحكاماً كثيرة مبنية على النهي عن التشبه بالكفار، بل على الأمر بمخالفتهم، وهذه الأحكام الشرعية لغرض ترسيخ البراء من الكفار في قلوب المسلمين، وجعله واقعاً عملياً ومعنىً حياً في المجتمع المسلم، فكيف يرضى مسلم لمجتمعه أن يذوب في المجتمعات الأخرى، وأن ينخلع من عقيدته وحضارته وتاريخه.

---

(١) انظر في بعض ما تقدم من فقرات: تجديد الخطاب الإسلامي ص٢٤٣، وظاهرة الهجوم على منهج السلف ص٣١.

- إن ما بلي به الغرب من الطعن في الإسلام وتعاليمه، إنما أتوا في الأعم الأغلب من جهلهم بحقيقة الإسلام وسماحته، فجهل الغرب بالإسلام هو السبب الرئيس في الخوف منه، وبذلك نطق عقلاؤهم.

- يجب علينا أن نبيِّن للعالم أجمع سماحة هذا الدين، وأنه لا يعارض النافع من العلوم، بل يأمر ويحض على الابتكار والتعلم، وطلب كل ما هو مفيد، مهما يكن مصدره.

- إن الاعتزاز بهذا الدين والتمسك بالعقيدة الصحيحة، والأخلاق الإسلامية، والفهم المتوازن لمجريات الأمور، ولاسيما في العصر الحاضر، لهو مطلب ضروري في معرفة متى، وفي أي شيء يكون التواصل بيننا وبين الغرب.

- الإسلام لا يُكره أحداً للدخول فيه، فالمرء قبل أن يؤمن بالإسلام له الحرية في أن يؤمن أو يكفر، فإذا آثر أي ديانة من الديانات فلا اعتراض عليه، ويبقى له حق الحياة والأمن والعيش بسلام، وإذا آثر الإسلام ودخل فيه وآمن به، فعليه أن يخلص له ويتجاوب معه في أمره ونهيه وسائر هديه.

- أن مصطلح التعايش وحرية الأديان قد تطور وتحول إلى دعوة فكرية في ظل عصر العولمة، لها امتداد عقدي يسعى بجد إلى نشر الإلحاد في بلاد الإسلام.

- عند التأمل والنظر نجد أن دوامة التعايش وما يثار حولها من تقارب الأديان وحرية التدين، كله يصب في مصالح غربية، سواء كانت مصالح

اقتصادية يأمنون فيها على مصالحهم في ديارنا، أو مصالح ثقافية دينية، ينشط فيها التنصير والدعوة إليه.

- تطرح العولمة اليوم وبقوة مصطلحاً جديداً يراد أن يحل محل الكفر أو الكافر، وهو "الآخر" ولفظ الآخر لا يتعلق به مدح ولا ذم، ولا حب ولا بغض، ولا يترتب عليه أحكام الموالاة أو المعاداة، كل ذلك لتذليل السبل لإعادة قراءة الأحكام الشرعية المتعلقة بعلاقة المسلم بالكافر، وإلغاء الفروق بينهما، يتبع ذلك كفُّ أقلام المسلمين وألسنتهم عن تكفير من كفَّرهم الله تعالى ورسوله ﷺ.

- العولمة في سنواتها الأخيرة ركزت تركيزاً كبيراً على إذابة الهويات في العالم، ولاسيما الهوية الإسلامية من خلال ما تبثه لأجل تعليم أمتنا وتثقيف شبابنا، فهذا الزمن الحاضر ترى فيه أقوى غلبة التشبه بالغرب بل والحرص عليه والاجتهاد لنيله، فكم يتسابق أبناء أمتنا لكي يقرب من الغرب الكافر ويتشبه به.

- أن التقليد له آثار خطرة على أمة الإسلام في جميع أبواب الدين عامة، وفي أبواب الاعتقاد خاصة، ولذلك ترى النصوص الشرعية الكثيرة المحذرة من التقليد والتشبه بغير المسلمين حتى في أدق التفاصيل.

- هناك ثمة وسائل وسبل تعين الأمة فرداً وجماعات بعد عون الله سبحانه على الحفاظ على دينها وعقيدتها من آثار العولمة عموماً، ومن أثر التشبه بالكفار خصوصاً، أهمها الاستمساك بهذا الدين والعمل به.

- فهم العولمة، وعدم التخفي عنها أو تجاهلها، ودراسة سلبياتها وإيجابياتها برؤية إسلامية منصفة، والسعي الجاد لمحاربة شرها وحفظ الأمة منه، كما يواكب ذلك البحث عن كيفية الاستفادة منها، فإذا لم يكن لنا يد في صناعة الحدث فلا أقل من أن نستفيد منه.

- وسائل الاتصال من الإنترنت والفضائيات.. وغيرها مما شاع وانتشر في عصر العولمة من الممكن تسخيرها لخدمة البشرية عبر نشر الدين الإسلامي، فأمتنا تملك خير رسالة وأعظمها وأنفعها للبشرية، إنها تملك الوحي الإلهي المعصوم، الذي ينظم العلاقة بين العباد وخالقهم، وبين العباد فيما بينهم، وثقافتنا وهويتنا قابلة للنمو والاعتناء أكثر من الإذابة والتبعية، فما لأمتنا لا تفقه ذلك.؟

وفي الختام أسأل الله جل وعلا أن يبارك في هذا العمل، وينفع به، وأن يجعله صالحاً خالصاً لوجهه الكريم، وأن يعصمنا من الزلل والخطأ، وأن يعيذنا من فتنة القول والعمل، ويسلك بنا سبيل التوفيق والسداد إنه سميع عليم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا الحبيب، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فــهرس المراجـع

- الإحكام، للإمام ابن حزم، مطبعة العاصمة بالقاهرة، أشرف على طبعه الأستاذ العلامة أحمد شاكر رحمه الله.

- الاعتصام، للإمام الشاطبي، دار النشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، للإمام ابن تيمية الناشر مطبعة السنة المحمدية، القاهرة الطبعة الثانية ١٣٦٩، تحقيق: محمد حامد الفقي.

- البلاغ المبين، تأليف الشيخ: عبد المجيد يوسف الشاذلي، ضمن كتب الموسوعة الشاملة CD، أو على موقع http://www.alshazly.net/

- تاريخ بغداد، لأحمد بن علي أبي بكر الخطيب البغدادي، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت.

- تأويل مختلف الحديث، للإمام عبدالله بن مسلم بن قتيبة، الناشر دار الجيل بيروت١٣٩٣-١٩٧٢، تحقيق: محمد زهري النجار.

- تجديد الخطاب الإسلامي، د/ عبد الكريم بكار، مكتبة العبيكان الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ

- تجديد الخطاب الديني بين ثوابت العقيدة ومتغيرات العصر، د/ جمال فؤاد القاضي، المجلة العلمية لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج، العدد التاسع عشر، الجزء الثاني ١٤٢٥هـ.

- تجديد الخطاب الديني في ظل التقنيات الحديثة، مجلة بحوث كلية الآداب جامعة المنوفية، بحث الدكتورة: زينب عفيفي شاكر، سلسلة إصدارات مؤتمر العلوم الإنسانية وتقنيات المعلومات.

- تجديد الخطاب الديني، لمحمد بن شاكر الشريف، سلسلة تصدر عن مجلة البيان، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

- التطرف المسكوت عنه أصول الفكر العصراني السعودية أنموذجاً، د/ ناصر يحيى الحنيني، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ، دار الكتب المصرية.

- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، للإمام أبي الفداء بن كثير، تحقيق: محمود حسن، الناشر دار الفكر ١٤١٤هـ.

- تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، للإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، نشر دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

- جامع الأصول، لمجد الدين ابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، نشر: مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى.

- الحضور والمثاقفة المثقف العربي وتحديات العولمة، لمحمد محفوظ، الناشر المركز الثقافي العربي بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني، الناشر دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ .

- حوار الأديان دعوة أم تقارب أم تنازل، د/ عدنان علي رضا النحوي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ، دار النحوي للنشر والتوزيع.

- الحوار بين الأديان حقيقته وأنواعه، د/عبد الرحيم بن صمايل السلمي، ضمن كتب الموسوعة الشاملة CD.

- الحوار من أجل التعايش، د/ عبد العزيز التويجري، الطبعة الأولى، دار الشروق القاهرة.

- الخطاب الإسلامي المعاصر، نخبة من الباحثين والكتاب، إعداد دار البحوث والدراسات (الدوحة).

- خطاب التجديد الإسلامي الأزمنة والأسئلة، لعدد من المفكرين، طبعة دار الفكر سورية، الأولى ١٤٢٥هـ .

- دور العقل في الخطاب الديني، د/ عبد اللطيف الهميم، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، دار عمان للنشر، عمان الأردن.

- سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر دار الفكر، بيروت.

- سنن أبي داوود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر : دار الفكر.

- شرح النووي على صحيح مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، للإمام: أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

- الصحاح للجوهري، لإسماعيل بن حماد الجوهري، الناشر دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٩٠م.

- صحيح البخاري، تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا، الناشر دار ابن كثير بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت.

- صراع الأمم بين العولمة والديمقراطية، د/ أسعد الحمراني، الطبعة الأولى، دار النفائس، بيروت ١٤٢٠هـ.

- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، للإمام ابن القيم، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، الناشر دار العاصمة الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٨ - ١٩٩٨م.

- ظاهرة الهجوم على منهج السلف، د/ عبد الرحمن بن صالح المحمود سلسلة تصدر عن مجلة البيان الطبعة الأولى١٤٢٩هـ.

- العالم الإسلامي وتحديات العولمة د/ طارق الزمر، مجلة المنار الجديد العدد ٢٠، رجب ١٤٢٣هـ.

- العنف والخطاب الديني في مصر، د/ شحاته صيام، الطبعة الثانية ١٩٩٢م، نشر دار سينا للنشر مصر.

- العوامل المسببة للانحراف الفكري وعلاقتها بالإرهاب د/ علي فايز الجحني، مجلة العدل العدد ٣٩، رجب ١٤٢٩هـ .

- العولمة الاقتصادية، لمحمد عبدالله الشباني، الطبعة الأولى، دار عالم الفكر، الرياض ١٤٢٠هـ.

- العولمة الغربية والصحوة الإسلامية، أ.د عبد الرحمن الزنيدي، ط دار اشبيليا الأولى ١٤٢١هـ.

- العولمة أم عالمية الشريعة الإسلامية، د/ محمد عمر الحاجي، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، دار المكتبي، دمشق.

- العولمة بين منظورين، د/ محمد أمحزون، مجله البيان، العدد: ١٤٥، رمضان ١٤٢٠هـ.

- العولمة ماهيتها ونشأتها، محمد بن سعيد ابن سهو أبو زعرور، طبعة دار البيارق، الأردن عمان، الأولى ١٤١٨هـ

- العولمة والثقافة العربية، د/ حسين علوان حسين، ضمن كتاب العولمة والهوية أوراق المؤتمر العالمي الرابع لكلية الآداب والفنون، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، شركة مطابع الخط، عمان.

- عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد شمس الحق العظيم آبادي، الناشر دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ .

- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، الناشر: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، الناشر دار المعرفة بيروت، ١٣٧٩هـ.

- الفتن (السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها)، لأبي عمرو الداني، تحقيق: د/ رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، الناشر دار العاصمة الرياض.

- الفرقان في بيان حقيقة التقارب والتسامح بين الفرق والأديان، لعبد الرحمن بن سعد الشثري، ضمن كتب الموسوعة الشاملة CD.

- القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، الطبعة الثانية١٤٠٧هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- قضايا العولمة والمعلوماتية، د/ مفيد الزيدي، الناشر دار أسامة للنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م الأردن.

- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين بن منظور المصري، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت.

- ما العولمة؟، د/ حسن حنفي، ود/ صادق جلال العظم، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، دار الفكر، دمشق.

- مجلة آفاق عربية، د/ محمد مظفر الأدهي، عدد ٣ أيار ١٩٩٧م، وزاره الثقافة والإعلام ببغداد.

- مجموع فتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.

- مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، د/ محمد عمارة، الطبعة الأولى١٩٩٩م، دار النهضة، مصر.

- المدخل، لابن الحاج، الناشر دار الفكر، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا،الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

- مسند أبي داود الطيالسي، الناشر دار المعرفة، بيروت.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، الناشر مؤسسة قرطبة، القاهرة، وطبعة مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤٢١هـ، إشراف د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي.

- المصباح المنير، لأحمد محمد الفيومي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م.

- المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

- مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث وأثرها على المسلمين، لأشرف بن عبد الحميد بن محمد بارقعان، أصل الكتاب رسالة علمية، طالعته ضمن كتب الموسوعة الشاملة.

- المعجم الأوسط، لسليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق طارق عوض وعبد المحسن الحسيني، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥هـ.

- المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، الجمهورية العراقية: وزارة الأوقاف.

- معرفة السنن والآثار، لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي. نشر دار قتيبة دمشق، ١٤١١هـ.

- المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، جمع وإعداد الباحث علي بن نايف الشحود، ضمن كتب الموسوعة الشاملة CD.

- مقدمة ابن خلدون، الطبعة الرابعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة